جهود المماليك العسكرية لإقرار الحكم الإسلامي في الهند (٦٠٢ – ٦٨٩هـ/ ١٢٠٦ – ١٢٩٠م)

دكتورة/ خيرية بنت محمد علي آل سنة
أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة – كلية الآداب
– جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن بالسعودية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

انصب اهتمام الباحثين على فتوحات المسلمين في شبه القارة الهندية زمن الدولة الأموية، والدولة العباسية، إضافة إلى ما قامت به بعض الدويلات المستقلة في المشرق من جهود لمحاولة ضم الهند إلى حاضرة الدولة الإسلامية، ولكن الاهتمام بالهند تضاءل منذ نهاية الدولة الغزنوية[١]، والدولة الغورية[٢].

---

(١) أنشئت الدولة الغزنوية سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، وعاصمتها غزنة، ومن أبرز حكامها: السلطان محمود الغزنوي الذي اشتهر بكثرة فتوحاته في بلاد الهند حتى لقب بمحطم الأصنام. واستمر حكم هذه الدولة حتى سقطت لاهور آخر معاقلها على يد الغور سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م). انظر منهاج سراج، منهاج الدين عثمان الجوزجاني (ت/ ٦٦١هـ): طبقات ناصري، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١ (٢٠١٣م) ج١، ص ٣٦٢ – ٣٨٢؛ محمود، حسن أحمد: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ط)، ٢٠٠٦م، ص. ص١٨٧ – ١٩٨.

(٢) قامت الدولة الغورية في أفغانستان الحالية بين هراة وغزنة، وعاصمتها فيروزكوه، ودانوا بالإسلام على يد السلطان محمود الغزنوي سنة (٤٠١هـ/ ١٠١٠م). ومن حكامها: غياث الدين الذي أسقط آخر معاقل الغزنوية في الهند، وشهاب الدين الذي كان له دور كبير داخل الهند على يد قائده قطب الدين أيبك، حتى سيطر الخوارزمية على بلاد الغور سنة (٦٠٥هـ/ ١٠٢٨م). انظر الدهلوي، يحيى بن أحمد السيهرندي (ت/ ٨٣٨هـ): تاريخ مبارك شاهي، تصحيح محمد هدايت، كتابخانة ديجتالي نور، جـ١، ص ٤ – ١٤؛ بدواني، عبد القادر بن ملوكشاه (ت/ ٩٤٧هـ): منتخب التواريخ، تحقيق توفيق هاشم بورسبحاني، طهران، مؤسسة أنجمن آثار ومفاخر فرهنكي، (١٣٨٠هـ.ش)، جـ١، ص ٣١ – ٣٦؛ فرشتاه، محمد قاسم بن غلام (ت/ ١٠١٥هـ): تاريخ فرشتة أز آغاز تا بابر، طهران، مؤسسة انجمن آثار ومفاخر فرهنكي، نسخة إلكترونية PDF، محملة من مكتبة كتبخانة ديجتال نور، جـ١، ص٢٢٠ – ٢٢٤.

وبالرغم من هذه الجهود السابقة إلا أن استقرار الحكم الإسلامي في الهند بدأ على إثر تأسيس الدولة المملوكية في الهند والتي ظلت تحكم الهند في الفترة من (٦٠٢ – ٦٨٩هـ/ ١٢٠٦ – ١٢٩٠م)[1]. وقد حرص حكام الدولة المملوكية على الحفاظ على ما تم فتحه على أيدي من سبقهم من الحكام المسلمين[2]، إضافة لرد الأخطار التي كانت تحيط بهم، من قبل الزعماء الهندوس، والمغول، وحكام الأقاليم الذين يتحينون الفرص للاستقلال، بالإضافة إلى جهودهم لضم مناطق جديدة، وذلك من أجل تثبيت الحكم الإسلامي في الهند، وقد رأيت عرض هذه الجهود مجموعة حتى يتضح لنا ما قام به هؤلاء السلاطين من فتوحات في بلاد الهند.

سلاطين الدولة المملوكية:

يتناول هذا البحث تعريفًا مبسطًا قدر المستطاع بسلاطين الدولة المملوكية في الهند، وجهودهم لإقرار الحكم الإسلامي هناك من خلال ضم مناطق جديدة إلى الدولة الإسلامية والحفاظ على جهود من سبقهم، ومواجهة الأخطار الداخلية والخارجية.

أولاً: السلطان قطب الدين أيبك[3] (٦٠٢ – ٦٠٧هـ):

أ- نشأته وحياته قبل توليه الحكم:

أول سلاطين المماليك في الهند، وقد كان مملوكاً عند السلطان شهاب الدين الغوري (٥٩٩هـ - ٦٠٢هـ/ ١٢٠٢ – ١٢٠٦م)، وهو تركستاني[4] الأصل، اشتراه

---

(١) السبب في تسميته بعصر المماليك أن محمدًا الغوري لم ينجب أولاداً ذكوراً ولا إناثاً يرثون الملك بعد وفاته، ولذلك تولى حكمه بعد وفاة مماليكه. انظر: النووي، محمد إسماعيل: تاريخ الإسلام في الهند، مجلة الكتاب العربي، العدد الثامن. ١٣٨٤هـ، ص٢٤.

(٢) يتضح مدى اتساع الحكم الإسلامي في الهند قبل المماليك. بالنظر في ملحق رقم (١).

(٣) أيبك: سمي أيبك؛ لأن خنصره كان مكسوراً، ولهذا لُقب بـ (أيبك المشلول) أي: الغلام المشلول. انظرمنهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩١؛ الدهلوي: تاريخ مباركشاهي، جـ١، ص١٣.

(٤) تركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك.انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت/ ٦٢٦هـ): معجم البلدان، بيروت. دار الكتب العلمية، ط١ (١٩٩٠م)، جـ٢، ص٢٧.

قاضي نيسابور[1] فخر الدين الكوفي[2]، وقد أدبه فأحسن تأديبه، وبعد وفاة القاضي اشتراه تاجر رقيق، وحمله إلى غزنة[3] حيث عُرض على السلطان شهاب الدين الغوري، فاشتراه، ولمس فيه الشجاعة والذكاء، فقربه وعهد إليه بالعمل في الجيش الغوري، ثم عينه شهاب الدين الغوري مشرفاً على الديوان السلطاني، ومنذ توليه لهذا المنصب أصبح يرافق السلطان الغوري في حروبه. وقد أظهر شجاعة في حروب السلطان ضد الأمراء الراجبوتيين[4] في معركة تارين[5] سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٥م)، ولهذا كافأه شهاب الدين فجعله نائباً له على ممتلكات الغور في الهند، وقائدًا للقوات الإسلامية هناك[6].

بعد معركة تارين أصبح قطب الدين أيبك والياً على الهند من قبل السلطان الغوري، وبالرغم من أن هذه الفترة خارج الفترة الزمنية للبحث ولكن هناك ارتباط

---

(١) نيسابور: مدينة عظيمة تقع ما بين القادسية وجيحون ومن الري إلى نيسابور مائة وستون فرسخاً. انظر الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٢.

(٢) فخر الدين الكوفي: عبد العزيز الكوفي، قاضي نيسابور، عُرف بالقارئ، من علماء نيسابور. يعود نسبه إلى الإمام أبي حنيفة. انظر منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٠.

(٣) غزنة: وتسمى غزنين، مدينة عظيمة في طرف خراسان؛ انظر الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٢٢٨.

(٤) الأمراء الراجبوتيين: أمراء هنود يحكمون إمارات في شمال الهند من أهمها مملكة دهلي وأجمير وقنوج، وجوجرات، ونهراوله، وبند لخاند، وبهار والبنغال، ويسمى هذا القسم هندوستان. انظر الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف: بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم ٩٢ – ١٣٦٦هـ/ ٧١١ – ١٩٤٧م، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، (٢٠٠٥م)، ص٤٣.

(٥) تارين: مدينة بالقرب من ثنيسر. انظر الفقي: بلاد الهند، ص٤٤.

(٦) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٠؛ الدهلوي: تاريخ مباركشاهي، جـ١، ص١٣؛ الساداتي، أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٥٧، ص١٢٢؛ مرزوق، أحمد إبراهيم علي: إقليم الهند الإسلامي منذ الفتح الغزنوي حتى نهاية دولة مماليك الهند (٣٦٦ – ٦٨٦هـ/ ٩٧٦ – ١٢٨٧م)، بحث ماجستير، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٩٤ – ٩٦.

واضح بينها وبين ما نتج عنها من تولي قطب الدين أيبك السلطنة في بلاد الهند بعد نهاية دولة الغور سنة (٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م)، وقد كان له جهود سنأتي عليها بالتفصيل مع جهوده بشكل عام في الهند.

ب- توليه الحكم:

بقي أيبك على ولائه لدولة الغور في أشد حالات ضعفها، وعندما تولى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد سلطنة الغور سنة (٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م) أرسل إلى قطب الدين أيبك خطاب الحرية وشارات السلطنة، وخاطبه بالسلطان، ولهذا خرج قطب الدين أيبك من دهلي[١] إلى لاهور[٢]؛ ليتسلم السلطنة كحاكم مستقل في الهند[٣]. ويعتبر بذلك أول سلطان مسلم استقل بحكم دولة المسلمين في الهند حيث أسس أول دولة إسلامية في شبه القارة الهندية، واتخذ لنفسه الألقاب مثل المظفر، المنصور، العادل، الغازي، ناصر الإسلام[٤].

- جهوده العسكرية لإقرار الحكم الإسلامي قبل توليه السلطنة وبعدها:

١- القضاء على الثوار:

وقد ثار عليه تاج الدين يلدز[٥] أحد مماليك شهاب الدين الغوري، والذي تم تنصيبه حاكماً على غزنة من قبل السلطان غياث الدين محمود الغوري، وبذلك طمع

---

(١) دهلي: تقع بقايا هذه المدينة جنوب دهلي العاصمة الهندية حوالي عشرة أميال، وهي قاعدة بلاد الهند، ولها سور عظيم. انظر ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي (ت/ ٧٧٩هـ): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به: درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠١٤م، جـ٢، ص٣٤.

(٢) لاهور: مدينة تقع في باكستان الغربية. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٣٩.

(٣) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٢؛ الدهلوي؛ تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١٤.

(٤) الضفيان، عيسى بن عبد الله: جهود المماليك في نشر الإسلام في الهند (٦٠٢ – ٦٨٩هـ)، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، ١٤١٥هـ، ص١٩.

(٥) تاج الدين يلدز: أحد مماليك شهاب الدين محمد سام الغوري، اشتراه صغيراً، تميز بالجمال الوافر، وصاحب أخلاق حميدة، لهذا اهتم به السلطان. خدم في الدولة الغورية حتى منحه السلطان غياث الدين محمود صك العتق وسلمه عرش غزنة. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٢٦ – ٢٢٨.

في أن يصبح سلطاناً على كل ممتلكات دولة الغور. وقد اتبع معه قطب الدين سياسة اللين فصاهره وتزوج ابنة يلدز، ولكن يلدز لم يخضع وخرج من غزنة بهدف الاستيلاء على السند، ولهذا دخلا في صراع انتهى بطرد يلدز من الهند إلى غزنة. ونجحت سياسة اللين مع ناصر الدين قباجة[١]، فقد زوجه السلطان قطب الدين ابنته، وضبط أمور السند في عهد السلطان قطب الدين أيبك[٢].

بعد إخضاع الطامعين توجه السلطان إلى ضبط أمور الدولة الأخرى، وسايس الهنادكة أحسن سياسة، وضرب بيد من حديد على أيدي اللصوص وقطاع الطرق، وأنفق بسخاء على الفقراء والمساكين، وحكم الناس بالعدل وعم السلام دولته، واعتنى بالعمارة ومن أبرز ما خلفه مسجده المشهور الذي بدأ تشييده، وأكمله المماليك من بعده، ولا تزال منارة هذا المسجد باقية إلى يومنا[٣].

٢- الفتوحات في عهده:

حدثت معظم الفتوحات في شبه القارة الهندية في فترة ولاية قطب الدين أيبك، أي: قبل قيام الدولة المملوكية، وعمل على توطيد حكم المسلمين في الهند منذ أن كان حاكماً من قبل الدولة الغورية، وسيحافظ خلفاؤه من بعده على هذا الفتوحات مع محاولة فتح مناطق جديدة، فأصبح من المهم إعطاء تصور كامل لما تم قبل توليه السلطنة، وما حدث من تطورات بعد قيام الدولة المملوكية.

---

(١) ناصر الدين قباجة: أحد مماليك السلطان شهاب الدين الغوري تميز بالذكاء والعلم، تزوج من ابنتي قطب الدين أيبك. انظر منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٤.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٤؛ بدواني :منتخب التواريخ، جـ١، ص.ص٣٧ – ٣٨؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١ ص٢٢٧؛ الفقي :بلاد الهند، ص٥٢ – ٥٣.

(٣) ابن بطوطة :رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٣٤٩؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٣٧؛ النمر، عبد المنعم: تاريخ الإسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، ط١ (١٩٥٩م)، ص١٠٦ –١٠٨؛ انظر ملحق رقم (٢).

- **فتح ميرات[1]:**

في سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) زحف القائد قطب الدين أيبك لفتح ميرات، ونظراً إلى أنها مدينة حصينة فقد اضطر قطب الدين لحصارها عدة أيام، حيث تمكن من فتح قلعتها، وبعد أن ضبط الأمور فيها، أسس فيها العديد من المساجد بعد أن دخل أكثر أهلها الإسلام[2].

وكان من نتائج هذه المعركة أن تقلص نفوذ الأمراء الراجبوتيين في شمال الهند، وفي المقابل امتد نفوذ الدولة المملوكية إلى مناطق جديدة في شبه القارة الهندية[3].

- **فتح دهلي:**

بعد فتح ميراث أصبح الطريق مفتوحاً أمام قطب الدين إلى دهلي والتي تعتبر كرسي الممالك التي تم فتحها خلال عهد الغور في بلاد الهند، حيث توجه إليها سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) وقد كانت تمنع تقدم القوات الإسلامية إلى شمال ووسط الهند، وقد حاصرتها القوات الإسلامية حتى أعلنوا الاستسلام، بعد أن اقتحمت القوات الإسلامية حصنها، وخربت معابد وثنية بها؛ لأن الهندوس تحصنوا في هذه المعابد[4]. وقد سماها قطب الدين أيبك قبة الإسلام بعد أن أحدث بها العديد من التجديدات[5].

---

(١) ميرات: وهي قلعة حصينة تقع شمال الهند وشمال مدينة دهلي. انظر مؤنس، حسين: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط١ (١٤٠٧هـ)، ص٢٤٧.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، ج١، ص٥٩٢؛ الفقي: بلاد الهند، ص٤٤؛

Aziz, Mohammed Ahmad: Ploitical History of Institutions of the Early Turkish Empire of Delhi, Oriental Book Reprint Ednoprotion Newdel, p.128

(٣) الفقي: بلاد الهند، ص٤٤ – ٤٥.

(٤) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٢٩٢؛ أكبري، نظام الدين محمد مقيم، (ت/ ١٠٠٣هـ): طبقات أكبري، الجمعية الملكية البنغالية، ١٩٢٧م، ص١١٧؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢١٨؛ الفقي: بلاد الهند، ص٤٥.

(٥) العمري، أحمد بن يحيى (ت/ ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي، القاهرة، دار الكتب العربية، (د.ط)، ١٩٢٤م، ص١١٠.

- **الحفاظ على قلعة هانسي[1]:**

في شهر رمضان من عام (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) قدم الراجاجتوان، وهو أحد أتباع راجا نهروالة[2]، بجيش كبير إلى قلعة هانسي من أجل الاستيلاء على القلعة، فتحصنت القوات الإسلامية داخل القلعة وأرسلوا إلى قطب الدين بالخبر، فتوجه إليها، وما إن سمع الراجاجتوان بقدوم قطب الدين حتى هرب إلى نهروالة[3]. وبهذا حافظ قطب الدين على ممتلكات المسلمين في الهند.

- **فتح قلعة كول (كويل)[4]:**

فتح قطب الدين أيبك هذه القلعة ما بين سنتي (٥٨٩ - ٥٩٠هـ / ١١٩٣ - ١١٩٤م)، حين حاصر المسلمون المدينة، وقد قاوم الهندوس القوات الإسلامية، ولكن ما لبثت أن سقطت القلعة في أيدي المسلمين، وغنموا غنائم كثيرة، وبعد هذا النصر رتب قطب الدين أيبك دهلى عاصمة ملكه في الهند بعد أن ضبط أحوال المدن القريبة من دهلى[5].

- **فتح بنارس[6]:**

وكان سبب التوجه إليها أن الأمراء الهنود اتحدوا بقيادة راجا قنوج واسمه (جي جند) والذي كانت مملكته تمتد من حدود دهلى حتى بنارس، وبأمر من السلطان

---

(١) هانسي: تقع بين مدينتي سرستي ودهلى، وهي في زمن ابن بطوطة من أحسن المدن وأكثرها عمارة وسماها حانسي. انظر ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٢٨.

(٢) نهروالة: إحدى مدن إقليم الكجرات في جنوب الهند، مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٤٦.

(٣) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٤٦.

(٤) كول أوكويل: هو أحد الحصون القريبة من دهلى. انظر الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١١؛ Aziz: Political History, P.132

(٥) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١١؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢١٨.

(٦) بنارس: تقع شرق دهلى. انظر مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٤٦.

الغوري تولى قيادة القوات الإسلامية، وتمكن قطب الدين من هزيمة هذا التحالف، وفي نهاية الأمر وعندما شاهد الراجاجي جند هزيمة قواته تقدم إلى الميدان لرفع الروح المعنوية لدى جنوده، ولكن القوات الإسلامية لم تمهله حيث أطلق عليه سهم استقر في عينه، سقط بعدها صريعاً. وبهذا تفرقت قوات الأمراء الهنود، وكان هذا النصر عام (٥٩٠هـ/ ١٢٩٤م).

وكان لهذه المعركة نتائج مهمة تمثلت في:

١- ازدياد نفوذ وهيبة المسلمين في الهند.

٢- فشل الأمراء الهنود في مد نفوذهم، وبالتالي لجأوا إلى الصحراء.

٣- غنم المسلمون غنائم كثيرة من خزائن راجانبارس.

٤- تحطيم معابد الأصنام في هذه المنطقة[1].

٥- سيكون هذا الفتح دافعًا لفتوحات أخرى للمسلمين في الهند.

- استعادة أجمير[2]:

بعد أن رتب القائد قطب الدين أيبك أمور بنارس، وعزم على التوجه إلى العاصمة دهلى وصله خبر بأن الراجا "جهتير"[3] قد توجه بجيشه إلى ناحية دهلى بغرض انتزاعها من يد المسلمين، ولذا قرر القائد قطب الدين أيبك العودة مسرعاً إلى

---

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٢؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١٢؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص ٢١٨ - ٢١٩؛ الضفيان: جهود المماليك، ص١٤؛ الفقي: بلاد الهند، ص٤٥.

(٢) أجمير: مدينة بالقرب من دهلى. انظر: منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٢.

(٣) جهتير: حاكم جبال الور وقد سيطر على مدينة أجمير سنة (٥٩٠هـ). انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٢٠.

دهلى حيث انفصل عن جيشه وأخذ معه عشرين ألف فارس وتوجه إلى جهتير، وعندما علم الراجاجهتير بقدوم قطب الدين، ورأى في نفسه عدم القدرة على مواجهته أسرع بالهرب إلى ناحية أجمير، فتعقبه قطب الدين أيبك، فخرج "هيمراج راجه" وهو حاكم أجمير متصدياً لقطب الدين أيبك. فدارت معركة شرسة بين الطرفين، انهت بانتصار القوات الإسلامية، وهرب حاكم أجمير وسقطت أجمير في يد المسلمين[1].

وقد حاول راجات الهندوسي انتزاع أجمير في نهاية عام (٥٩٢هـ/ ١١٩٦م) وبداية (٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) من أيدي المسلمين ولكن قطب الدين أيبك توجه إليهم وظل في معارك معهم لمدة ثلاثة أشهر متتالية، سانده خلالها جيش السلطان شهاب الدين الغوري، ومن هنا لم يجد راجات الهندوس حلاً إلا الهرب من وجه القوات الإسلامية، وكان هذا الانتصار دافعاً لقطب الدين ليتوجه إلى مناطق جديدة في الهند[2].

- **فتح نهرواله:**

في سنة (٥٩١هـ/ ١١٩٤م) زحف قطب الدين أيبك بجيشه ناحية نهروالة، فهرب الراجاجتون – قائد الراجابهيم ديو -فتعقبه قطب الدين، ودخل معه في حرب، انتصر فيها قطب الدين أيبك، وقُتل جتوان، ونتيجة لذلك هرب الراجا بهيم ديو إلى أقصى مكان في ولايته، وغنم قطب الدين غنائم كثيرة من تلك المدينة[3].

---

(١) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٢٠.

(٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٢٠.

(٣) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٢٢.

وفي عام (٥٩٣هـ/ ١١٩٧م) في منتصف شهر صفر خرج القائد قطب الدين أيبك مرة أخرى إلى نهروالة؛ نظرًا لأن راجانهروالة قد اتفق مع الراجا "فالن فاريسي" لصد القوات الإسلامية، ومنعها من التوجه إلى إقليم الكجرات[١]، فحاربهم قطب الدين أيبك وحطم صفوفهم، وأسر الكثير منهم، وغنم مغانم كثيرة، ودخل الكجرات، وعين على نهروالة أحد الأمراء الكبار حتى لا تعود للخروج مرة أخرى[٢].

ومع ذلك فقد عاد أهل نهروالة وشقوا عصا الطاعة عام (٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م) على الحكم الإسلامي، فقابلهم قطب الدين أيبك وهزمهم شر هزيمة وشتت شملهم، وعفا عن حاكمها بعد أن تعهد بعدم العودة إلى العصيان، وأن يدفع الجزية[٣].

- **فتح تهنكر**[٤]:

فيما بين عامي (٥٩١ - ٥٩٢هـ/ ١١٩٤ - ١١٩٥) جهز قطب الدين أيبك الجيش للاستيلاء على قلعة مدينة تهنكر، وفي هذه الأثناء قدم السلطان معز الدين الغوري إلى بلاد الهند، فانضم إليه قطب الدين أيبك وسار بمعيته إلى قلعة تهنكر،

---

(١) الكجرات: تقع على الجانب الجنوبي الغربي من الهند، على ساحل بحر العرب، من أشهر مدنها أحمد آباد. انظر السورتي، عبد الله بن إسماعيل: أضواء على تاريخ الحركة العلمية والمعاهد الإسلامية والعربية في غجرات بالهند، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية، العدد السابع والثمانون، محرم ١٤٠٩هـ، ص٧٢.

(٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٢٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م، راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق، ج١٠، ص٢٧٤، ٢٧٥.

(٤) تهنكر: مدينة تقع في ولاية راتشمبهور جنوب دهلي. انظر: Aziz Ahmad: Politicul History, P.137 .

وتمكنت القوات الإسلامية من فتحها، وعين عليها أحد المماليك وهو بهاء الدين طغرل[1].

- **فتح كواليار (جواليار)**[2]:

بعد إتمام فتح تهنكر توجه قطب الدين أيبك إلى مدينة كواليار، وما إن سمع حاكمها ويدعي الراجا سلكمن بقدوم القوات الإسلامية حتى طلب الصلح، ودفع الجزية، وأرسل الأموال والهدايا إلى قطب الدين أيبك[3].

- **فتح كالنجار**[4]:

توجه القائد قطب الدين أيبك إلى كالنجاز في عام (٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م) وحاول الراجا "برمار" حاكم كالنجار مواجهة القوات الإسلامية، ولكنه تراجع بعد أن اصطف بقواته في مواجهة قطب الدين أيبك، وتحصن في القلعة وأعلن خضوعه، ولكن توفي الراجابرمار" وأعلن وكيله ويدعى "جده ديو" العصيان، وظلت القوات الإسلامية تحاصرهم حتى جفت ينابيع المياه، فخرج أهالي القلعة وطلبوا الأمان، وسلموا القلعة، ودخل منهم خمسون ألف من الغلمان والجواري الإسلام. ومن نتائج هذا الانتصار أن توجه قطب الدين إلى مدينة "مهوبة" وهي قصبة إقليم "كالبي " وفتحها، وفي نفس الطريق توجه إلى بدأون وضبط أمورها[5].

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٢؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١٤؛ أكبري: طبقات أكبري، جـ١، ص١١٧؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ٢٢١.

(٢) كواليار: مدينة تقع جنوب شرق دهلي، تميزت بأنها حصينة. انظر مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٤٧.

(٣) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٢٢؛ الضفيان: جهود المماليك، ص١٥.

(٤) كالنجار: تقع شرق دهلي. انظر مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٤٦.

(٥) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص ٢٢٣ – ٢٢٤؛ الفقي: بلاد الهند، ص٤٥.

- **الفتوحات في الإقليم الشرقي:**

بينما كان قطب الدين أيبك يعمل على تثبيت أقدام المسلمين في بلاد الهند، فقد أسند إلى قائده محمد بختيار الخلجي[١] مهمة فتح هذا الإقليم. فكان أول إنجازاته أن أخضع إقليم بهار حيث هاجم العاصمة "بند نتبوري" - والتي تحكمها أسرة "بالا" - واستخدم أسلوب المباغتة، فحقق انتصاراً كبيراً بالرغم من أنه لم يكن معه على أبواب قلعة العاصمة سوى مائتي فارس، وحطم المعابد والأصنام[٢]، وانتشر الإسلام بينهم. وبهذا يكون ضم إقليمًا جديدًا إلى مملكة الغور كنائب عن قطب الدين أيبك[٣].

- **فتح البنقال:**

من الأقاليم في شرق الهند والتي أذن قطب الدين أيبك للقائد الخلجي بمواصلة الفتح والتوسع فيها البنقال وعاصمتها "نوديا" والتي يحكمها لكهنية، وهو راجا من أسرة سنا - فقد قدم إليها الخلجي مع قلة جيشه، ولم يكن معه أكثر من ثمانية عشر فارسًا عند اقتحام العاصمة، وقد اتبع الخدعة في الحرب حيث كان هادئاً وقوراً ولم يتصور شخص قط أن هذا هو محمد بختيار، وتوقعوا أنه تاجر أتى بجياد يحمل عليها بضائعه، وعند وصوله لباب القصر استل سيفه، وبدأ الحرب وكان الراجا في غفلته

---

(١) محمد بختيار الخلجي: كان متصفاً بالصفات الحسنة، وقدم إلى غزنة في عهد السلطان معز الدين، ثم توجه إلى الهند، حيث انضم لخدمة حاكم أوده حسام الدين أوغلبيك - تعني السيد الأمير - وهناك ظهرت شجاعته وسمع عنها قطب الدين أيبك وقربه. انظر: منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٥٩٨؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٣٨ - ٣٩.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص.ص ٥٩٩-٦٠٠؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٣٩.

(٣) الضفيان: جهود المماليك، ص١٤٤؛ الفقي: بلاد الهند، ص٤٦.

وعندما علم هرب، وتمكن الخلجي من السيطرة على المدينة وغنم مغانم كثيرة. واتخذها عاصمة لحكمه، وعَمَّر ناديًا وشيد المساجد والمدارس والخانقاوات في أطراف إقليم البنقال[1].

- **إقليم التبت:**

نتيجة لما أحرزه من إنتصارات فقد تطلع الخلجي لمواصلة الفتوحات، فسار إلى التبت وذلك عام (٦٠٣هـ / ١٢٠٧م) واستعد بعشرة آلاف فارس، وقد واجه الجيش الإسلامي مشاق في الوصول إلى الإقليم، حيث ظلوا في سير حثيث لمدة تزيد على خمسة عشر يوماً، وواجهوا أعدادًا كبيرة من المقاتلين الشرسين، ثم إنهم في طريق عودتهم لم يجدوا عوداً أخضر، فقد أحرقوا – الهنود - مزروعاتهم حتى لا تجد القوات الإسلامية ما تتزود به، كما أن الجسر الذي عبروا من خلاله وجدوه قد خربه الهنود، مما اضطر القوات الإسلامية إلى العبور سباحة، وغرق الكثير منهم، وفشلت هذه الحملة فشلاً ذريعاً. ولم يلبث أن توفي الخلجي حزناً لما حدث[2].

وبهذا يكون لقطب الدين أيبك دور بارز في الحفاظ على ممتلكات الدولة الإسلامية في الهند، فظل لعقدين من الزمان مجاهداً لإقرار الحكم الإسلامي في الهند، متبعاً الطرق السلمية، والعسكرية لتثبيت الحكم الإسلامي في المناطق التي سبق أن

---

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٠٢؛ بدوني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٣٩؛ أكبري: طبقات أكبري، جـ١، ص١١٨ - ١١٩.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص.ص٦٠٣ – ٦٠٧؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٣٩ – ٤٠؛ الفقي: بلاد الهند، ص٤٦.

فتحها المسلمون قبل الدولة الغورية، كما حرص على فتح مناطق جديدة. وسع فيها أرجاء الدولة الإسلامية لتغطي مساحات واسعة في المناطق الشمالية الشرقية من شبه القارة الهندية.

٣- وفاته:

توفي السلطان قطب الدين أيبك عام (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) عندما كان يلعب في ميدان لاهور الكرة حيث سقط من على جواده، ووقع الجواد فوقه حيث جثم السرج على صدره. وبذلك يكون قد ولي أمور الهند من أول فتح دهلي حتى وفاته مدة عشرين عاماً، وكانت مدة تتويجه سلطاناً أربعة أعوام[١].

وبهذا انتهى عهد قطب الدين أيبك أول سلطان مسلم استقل بحكم دولة المسلمين في الهند، وبسط سيطرته على شمال الهند على مدى عقدين من الزمان بفضل قوته وشجاعته وكفاءته الإدارية.

بعد وفاة قطب الدين أيبك خلفه في الحكم ابنه آرامشاه[٢]، وكان شاباً صغيراً لا يستطيع القيام بعبء الملك، لذا عجز عن إدارة شئون الدولة، فقرر رجال الدولة عزله عن السلطة[٣].

---

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٢٩٣؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١٦؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص ٣٧ – ٣٨؛ الضفيان: جهود المماليك، ص٢٠؛ العبادي، مختار: دولة سلاطين المماليك والأتراك في الهند وأوجه الشبه بينها وبين دولة المماليك الأولى في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر (١٩٦٤م – ١٩٦٥م)، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٢٩٣.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت/ ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي ط١، (١٩٩٧م) جـ١٠، ص٣٠٠.

ثانياً: السلطان شمس الدين ألتمش(٦٠٧-٦٣٣هـ/ ١٢١٠ - ١٢٣٦م):

تعد فترة حكم أسرة ألتمش جزءًا من عصر القوة والازدهار في عهد دولة المماليك في الهند، حيث إن ألتمش المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية[١].

تعود أصول ألتمش إلى قبيلة البري[٢] في تركستان، وقد كان والده "إيلام خان" قائدًا لهذه القبيلة، التي تميزت بغناها وكثرة عددها، كما تميز ألتمش بالجمال والكياسة وحسن الخُلق؛ مما أثار غَيْرَة إخوته وأبناء عمه الذين كانوا أقل مواهب منه، علاوة على ذلك كان ألتمش هو الابن المفضل عند أبيه، وكان يخشى عليه من الخروج معهم، وبحجة النزهة ومشاهدة عرض سباق الخيول، أخرجوه من أحضان والده، وهناك باعوه إلى تاجر رقيق[٣]، باعه بدوره لتاجر رقيق آخر في بخارى[٤]، إلى أحد أقارب صدرجهان[٥]، وهناك وجد الرعاية والتربية لفترة، ثم تناقله تجار الرقيق حتى اشتراه قطب الدين أيبك ونقله إلى دهلي.

وقد مكنته مواهبه من تولي المناصب، حيث حظي بثقة سيده، فكان أول منصب عهد به لألتمش منصب رئيس الحرس الخاص، ثم أميراً للصيد، ثم أقطعه كواليار

---

(١) الفقي: بلاد الهند، ص٥٤.

(٢) البري: من الملوك الأخراسيايين. (منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦١٦، هامش٢٠، عمل المترجم).

(٣) ما حدث لألتمش وبيعه، وهو طفل صغير يشبه إلى حد كبير قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) والذي حمته إرادة الله. انظر منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦١٦؛ Zakaullah, Mahamooda: The Mamluk Dynasty of India, University of Al-Exandria, Faculty of Arts, Department of History, pp.64 - 65

(٤) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر. الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٤١٩.

(٥) صدرجهان: هو رئيس القضاة في المدينة؛ Zakaullah:: Themamluk, p.64.

ومناطق قريبة لها "باران" ثم فوض إليه إقطاعية بداؤن، ونظراً لشجاعته فقد أمر السلطان الغوري شهاب الدين بالإحسان إليه من سيده قطب الدين وأمر بكتابة صك حريته وعتقه، حتى وصل إلى مرتبة أمير الأمراء[1].

- توليه الحكم:

عندما توفي السلطان قطب الدين أيبك، ولعدم قدرة ابنه آرام شاه، فقد طلب قائد الجيش الأمير علي إسماعيل وهو قاضي القضاة في دهلى، وسائر أعيان السلطنة من ألتمش الحضور إلى دهلى، وفعلاً حضر ومعه أتباعه وجيشه، ودخل دهلى سنة (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) ولقب نفسه بالسلطان، وجلس على العرش[2]. وجاء إليه الفقهاء، والقاضي، وفهم السلطان مقصدهم، فأظهر لهم خطاب عتقه، وهنا بايعوه جميعاً، وأخذ الناس بالبيعة، واستقل بالملك لمدة ستة وعشرين عاماً[3]. وذلك بعد أن واجه آرام شاه وقبض عليه وشتت قواته[4].

- جهوده العسكرية لإقرار الحكم:

١- إخضاع الثائرين:

بعد أن ولي شمس الدين ألتمش سلطنة دهلى، تعرض لمشاكل داخلية تستهدف التخلص منه، ذلك أن بعض كبار رجال الدولة طمعوا في الوصول إلى الحكم منتهزين

---

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص.ص٦١٦ - ٦٢٠؛ أكبري: طبقات أكبري، ص١٢٠ - ١٢١؛ الدهلوي: منتخب التواريخ، جـ١، ص.ص٤٢ - ٤٣؛ الحسني، عبد الحق فخر الدين (ت/ ١٣٤١هـ): الإعلام في تاريخ الهند من أعلام المسمى نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، بيروت، دار ابن حزم، ط١ (١٩٩٩م)، جـ١، ص١٠٢.

(٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٣٢؛ العبادي: دولة سلاطين المماليك الأتراك في الهند، ص١٢٢.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٤٠.

(٤) أكبري: طبقات أكبري، ص١١٩.

الفوضى التي أعقبت وفاة أيبك، حيث استقل قائده ناصر الدين قباجة بالملتان[١] والسند[٢]، وتنازع مع تاج الدين يلدز حول لاهور، كما أن خلفاء محمد بختيار الخلجي سيطروا على بهار والبنقال، يضاف إلى ذلك أن قواد قطب الدين أيبك لم يرضوا عن تولية ألتمش السلطنة، والذي هو في الواقع مملوك لمملوك. كما انتهز الأمراء الهنادكة فرصة هذه الاضطرابات والقلاقل وانشغال السلطان في قمعها وتحركوا لنيل استقلالهم[٣].

وكان يلدز قد أعلن استقلاله في مدينة غزنة، وأرسل إلى السلطان ألتمش كتاباً يقره على حكم دهلى، ويطلب أن يذكر اسمه في الخطبة، باعتباره نائبًا السلطان الغوري في غزنة، وهذا أثار غضب السلطان ألتمش، أمكنته الفرصة عندما قدم يلدز إلى السند، والتقى معه عدة مرات ما بين سنتي (٦١٢ - ٦١٤هـ/ ١٢١٥ - ١٢٢٦م) بالقرب من مدينة "تراين" ودخلا في معارك قوية، انتهت بهزيمة يلدز ووقع أسيراً في يد السلطان ألتمش، وظل حبيساً في بداوين إلى أن مات فيها[٤].

كما كان ناصر الدين قباجة قد أعلن استقلاله بالسند والملتان، وفرض سيطرته على أعالي إقليم البنجاب؛ ولهذا توجه له السلطان عام (٦١٢هـ/ ١٢١٥م) في لاهور وألحق به هزيمة، وهرب قباجة ولم يلاحقه السلطان؛ لوجود العديد من المشاكل الداخلية والخارجية الأخرى، وظلا كذلك في مناوشات استمرت (٦١٣هـ -

---

(١) الملتان: الملتان مدينة في نواحي الهند قرب غزنة. الحموي: معجم البلدان، جـ٥، ص٢١٩.

(٢) السند: إقليم بين الهند وكرمان وسجستان. الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٣٠٣.

(٣) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١٧ -١٨؛ بدواني: منتخب التواريخ جـ١، ص٤٣.

(٤) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٢١؛ أكبري: طبقات أكبري، ص١٠٦ - ١٠٧.

٦٢٦هـ/ ١٢١٦ - ١٢٢٨هـ) حتى تمكن السلطان ألتمش من إنهاء حكمه على الملتان والسند الذي دام مدة اثنتين وعشرين سنة[١].

وفي سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) قاد السلطان ألتمش الجيش ناحية بهار، وأخضع غياث الدين الخلجي لطاعته، وقرأ الخطبة، وسك العملة باسم السلطان ألتمش، وعين السلطان ألتمش ابنه ناصر الدين محمودًا علي هذه الولاية، ولكن الخلجي عاد وخرج مرة أخرى فواجهه ناصر الدين محمود وهزمه وأسره[٢].

وبهذا قضى السلطان ألتمش على منافسيه من الطامعين في السلطنة، وأقر أحواله الداخلية وكان من أسباب طول هذه الفترة في القضاء على المنافسين أنه كان -أيضاً- منشغلاً بخطر جديد وهو خطر المغول[٣].

٢- خطر المغول[٤]:

لم يكد يستقر الأمر لألتمش حتى تعرض لخطر جديد وهو خطر المغول الذين بدأوا يشنون حملاتهم العنيفة على الدولة الخوارزمية[٥] والتي لجأ آخر سلاطينها جلال

---

(١) منهاج سراج؛ طبقات ناصري، جـ١، ص٦٢١؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٣٣.

(٢) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١٧؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٤٣؛ حقي، إحسان: تاريخ الجزيرة الهندية الباكستانية، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ، ص٧١.

(٣) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٤٣ - ٤٤؛ أكبري: طبقات أكبري، ص١١٨.

(٤) المغول: أصلهم عدة قبائل، موطنهم الأصلي هضبة منغولية شمال صحراء جوبي: انظر: إقبال، عباس: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية القلجارية، ترجمة محمد علاء الدين منصور، القاهرة، دار الثقافة (د.ط) ١٩٩٠م، ص٣٤٥؛ الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ من جنكيز خان إلى هولاكو خان، القاهرة، المكتبة التاريخية (د.ط)، (١٩٦٠م)، ص١٠.

(٥) الدولة الخوارزمية: قامت الدولة الخوارزمية ٥٢١هـ إلى ٦١٨هـ حيث انتهت على يد المغول بعد مقتل آخر سلاطينها السلطان جلال الدين منكبرتي،النسوي،محمد بن أحمد (ألف كتابه٦٣٩هـ):سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ حمدي، القاهرة، (١٩٥٣م) ص.ص٤٦ - ٤٨.

الدين منكبرتي إلى الهند هرباً من المغول، ولم يجد قبولاً من دولة المماليك في الهند، فاصطدم مع ناصر الدين قباجة حاكم السند الذي حاول منعه من الإقامة في السند؛ خوفاً من أن يتعقبه المغول ويطيحون به وبولايته، لكن جلال الدين أوقع به الهزيمة، وغادر إلى دهلى عندما سمع بنية المغول بالقدوم إلى الهند، أرسل جلال الدين إلى ألتمش يطلب منه أن يمنحه هو وجنده حق الإقامة في دهلى، لكن السلطان ألتمش اعتذر بحجة أن حرارة الجو في دهلى لا تناسب الخوارزميين. وفي الحقيقة أن السلطان ألتمش خشي أن ينضم الجند الترك في دولته إلى السلطان الخوارزمي، وطلب منه الانسحاب، ولهذا حدثت معركة بالقرب من دهلى، غادر على إثرها جلال الدين إلى لاهور.

لم يكن جلال الدين يهدف من التجائه إلى الهند أن تكون مستقراً له لكنه كان يهدف إلى تجنب الاشتباك مع المغول حتى يستعيد قوته. وكانت الفرصة له بعد موت جنكيز خان وعاد جلال الدين إلى بلاده (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) حيث ظل يقاتل المغول حتى ضعف وتعقبه المغول حتى قتل[(١)].

٣- الفتوحات في عهده:

بالرغم من انشغال السلطان ألتمش بعدة جهات حيث ظل فترة مشغولاً بمحاربة منافسيه. وأيضاً كان متابعاً ومتيقظاً لنشاط المغول، إلا أن ذلك لم يقف حائلاً دون القيام بفتوحات جديدة لنشر الإسلام ولإقرار الحكم الإسلامي في الهند:

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٣٨٨؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت/ ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، وثقه علي محمد معوض، وعاطف أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ (١٩٩٤م) جـ١٣، ص١٠٠.

- **فتح رانثمهبور[1]:**

تميزت هذه القلعة بحصانتها، واستحكامها، فورد في تواريخ الهند أنه حاول فتحها ما يزيد على سبعين ملكاً، ولم يتيسر فتح هذا الحصن لأحد، وبعد حصار دام عدة أشهر من عام (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) فتحتها قوات السلطان ألتمش[2].

- **فتح ماندور[3]:**

شجع التمش الانتصار في رانثمبهور لفتح مواقع جديدة؛ فتوجه عام (٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) لفتح حصن ماندور من حدود جبل سوالك، وتم له الفتح، وغنم مغانم كثيرة[4].

- **استعادة قلعة كواليار:**

في سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) توجه السلطان ألتمش لاستعادة قلعة كواليار التي خرجت من تحت سيطرة المسلمين، وحاصرها لمدة عام، وفي شهر صفر (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) هرب حاكم الحصن - واسمه "ديوبل" - ليلاً ودخلت القوات الإسلامية، وعين السلطان ألتمش القائد مجد الملك ضياء الدين محمد جنيدي أميراً على الحصن، ورشيد الدين علي رئيساً للشرطة، ومنهاج السراج يتولى الأمور الشرعية، مثل: القضاء، والخطابة، والإمامة، والحسبة[5].

---

(١) رانثمبهور: تقع جنوب دهلي، وهي مدينة محصنة. Aziz: Political History. P130.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٢٢؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ١، ص١٠٢.

(٣) ماندور: أحد مراكز الأمراء الراجبوت في شمال الهند، وهو حصن منيع. Aziz: Political History. P168 .

(٤) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٢٢؛ أكبري: طبقات أكبري، ص١٣٤؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٣٥؛ الفقي: بلاد الهند، ص٥٩.

(٥) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٢٢؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٤٥؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٣٦؛ Zakullah: Thamanluak,. P84.

- **فتح بهيلسان[١] وأجين[٢]:**

نتيجة رغبة السلطان ألتمش في فتح مناطق جديدة لم يصل إليها الإسلام بعد، توجه السلطان إلى إقليم "مالوه" وحاصر قلعة بهيلسان حتى استسلمت له، وخرب المعبد الذي عمره الهنود قبل عصر منهاج السراج بثلاثمائة عام، ومنها توجه إلى أجين وأخرج تمثال (بكر ماجيت) وهو صنم لعظيم الهنود، ومن عهده حتى عهد منهاج السراج - في القرن السابع - ألف ومائتا عام، وعدة تماثيل أخرى مصنوعة من النحاس المسبوك. وكان هذا الفتح سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٤)[٣].

- **اعتراف الخلافة العباسية بألتمش سلطاناً على الهند:**

أرسل الخليفة العباسي المستنصر بالله[٤] إلى السلطان ألتمش تقليداً بحكم دولة الإسلام في الهند سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، ولقبه بـ (ناصر أمير المؤمنين، وحامي الإيمان) وقد فرح السلطان بذلك، وقدم الخليفة في الخطبة والسكة على نفسه، فاعتراف الخليفة بالسلطان ألتمش أكسبه محبة وتقديراً واحترامًا من رعاياه المسلمين[٥]. وعلى

---

(١) بهيلسان: حصن في إقليم مالوه. منهاج سراج، طبقات ناصري، جـ١، ص٦٢٢؛ Aziz: Political History, p.168-170.

(٢) أجين: مدينة كثيرة العمارة، تقع ما بين مدينة ظهار ودولة أباد. انظر ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص١٥٢.

(٣) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٢٢؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٤٥ - ٤٦؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ١، ص١٠٣.

(٤) المستنصر بالله العباسي: منصور بن محمد الناصر أبو جعفر: حكم ما بين ٦٢٣ - ٦٤٠هـ. انظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت/ ٩١١هـ):تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط١ (١٩٥٢م) ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

(٥) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٢٤؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص١٩؛ الساداتي: تاريخ المسلمين في الهند، ص١٢٨.

كل؛ فإن سلطة الخليفة العباسي -آنذاك- كانت سلطة معنوية، إلا أن رضاها كان ضروريًّا لاكتساب الحكام المستقلين شرعيتهم والتفاف رعيتهم حولهم، وتثبيت أركان حكمهم.

- **وفاته:**

توفي السلطان ألتمش سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)[1] بعد أن وطد نفوذ وسلطان دولة المماليك في الهند، بعد أن خاض حروباً لإخضاع الثائرين، وأدار أمور دولته بنجاح رغم اقتراب خطر المغول منها، كما تمكن من فتح مناطق جديدة؛ فاتسعت رقعة دولة المماليك، ودخل على إثرها الكثير من الهنود الإسلام، وانحسر خطر الراجات الهنود.

ثالثاً: السلطان ركن الدين فيروزشاه(٦٣٣-٦٣٤هـ/ ١٢٣٦ - ١٢٣٧م)

بعد وفاة ألتمش استدعى رجال الدولة ابنه ركن الدين فيروزشاه؛ وذلك لأن ابنه الأكبر ناصر الدين محمدًا توفي سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م). وكان -عند توليه بعض الأعمال [illegible] في بذل الأموال في غير موضعها، وانشغل باللهو، وفي المقابل أهمل أمور الملك؛ فطمع حكام الأقاليم بالاستقلال، وطمح أمراء الهنود لاستعادة ممتلكاتهم، وما زال خطر المغول قائماً.

وفي بداية سنة (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) حدث خلاف بين رضية بنت ألتمش ووالدة السلطان ركن الدين[2] التي أرادت أن تقبض على رضية، وكانت والدة ركن الدين قد

---

(١) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٢٠؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١٠٩ - ١١٠.

(٢) والدة ركن الدين اسمها تركان خاتون وهي جارية تركية، كانت أعظم الحرم السلطاني، لها أعمال خير وإحسان إلى العلماء والزهاد. انظر منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٣٠.

قتلت الأخ الأكبر لرضية وكان من أم أخرى، ولهذا تحصنت رضية في القصر السلطاني، وتمكنت من القبض على والدة ركن الدين، وعندما اقترب السلطان ركن الدين من دهلى انضم أكثر جيشه إلى السلطانة رضية وبايعوها، وأجلسوها على العرش، وأرسلت السلطانة رضية من يلقي القبض على ركن الدين، حيث حبسته حتى توفي في الحبس، فكانت مدة ملكه ستة أشهر وثمانية وعشرين يوماً[١]؛ ولم يذكر له جهود عسكرية لفتح أو درء خطر عن دولته.

رابعاً: السلطانة رضية بنت ألتمش(٦٣٤-٦٣٧هـ/ ١٢٣٧ - ١٢٤٠م):

لم تكن السلطانة رضية حديث عهد بإدارة شئون الدولة فقد كانت في عهد أبيها تتدخل في أمور الحكم، وتصدر الأحكام والأوامر، ولم يكن والدها السلطان ألتمش يمانع في ذلك من شدة ما لاحظه عليها من العقل والفراسة، ولهذا عندما عاد من استعادة كواليار أحضر عدداً من الأمراء وعينها في منصب ولي العهد؛ وذلك لأنه رأى أن أبناءه يشغلهم اللهو، ولا تشغلهم هموم الدولة، ولن يكون أحدهم أكثر لياقة للعهد من رضية. لم يرض ذلك رجال الدولة؛ فأظهرت الخلاف حين عينوا ركن الدين فيروزشاه بعد وفاة والده، وبعد أن تم القبض على ركن الدين، جلست السلطانة رضية على عرش الدولة المملوكية في الهند[٢].

---

(١) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٤٧ - ٤٨.

(٢) أكبري: طبقات أكبري، ص١٣٤؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٤٢؛ فواز، زينب: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، شبكة المشكاة الإسلامية، ص.ص٢٨٠ - ٢٨١؛ كحالة، عمر رضا: أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، ١٩٥٩م، ص٥٣.

- **جهودها العسكرية لإقرار الحكم:**

١ - **إخضاع الثائرين:**

اعترض كبار رجال الدولة على تولية رضية الحكم، ورغبوا في تولية أحد الأمراء الحكم، وحاصروا دهلي وقطعوا عنها سبل الاتصال بالولايات التابعة لها، لكن السلطانة رضية أظهرت مقدرة وكفاءة في سحق هؤلاء المناوئين، فاستخدمت الحيلة في التخلص منهم، وذلك ببذر بذور الشقاق بينهم، حيث تقرب بعضهم للسلطانة واتفقوا على إلقاء القبض على بعض المخالفين لها، وعندما سمعوا بذلك فروا ولحقهم جيش السلطانة وقبضت على بعض مخالفيها وسجنتهم حتى الموت[١].

٢ - **جهودها في الفتح (استعادة رانثمبهور):**

استغل كفار الهنود الفوضى بعد وفاة السلطان ألتمش وأعلنوا الثورة وسيطروا على قلعة رانثمبهور، وحاصروا المسلمين بها، في هذه الأثناء توفي سيف الدين أيبك - قائد الجيش ويلقب بقتلغ خان - فعينت السلطانة رضية قطب الدين حسنًا قائداً للجيش وأرسلته إلى القلعة، فتمكن من إخماد الفتنة، وأخرج المسلمين المحاصَرين في القلعة، وبهذا تمكن من استعادة رانثمبهور، وكان ذلك قبل شهر شعبان من عام (٦٣٥هـ/ ١٢٣٦م)[٢].

أسباب إسقاط حكم السلطانة رضية:

بالرغم مما اتصفت به السلطانة من شجاعة وإقدام وقيادتها الجيوش بنفسها، وحرصها على أن تبلغ مبلغ الرجال من حيث زيها، إلا أنها أغضبت أمراء الدولة الترك الذين كانوا مقربين من والدها، فقد منعتهم من التدخل في شئون الحكم؛ وذلك لأنها

---

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٣٤ - ٦٣٥؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص ٢٥ - ٢٦؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ص١٣٠؛ العبايد: دولة سلاطين المماليك، ص١٢٣.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٣٦؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٢٦؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٤٤.

كانت تدرك معارضتهم لحكمها، كما أنها أثارتهم ضدها عندما قربت رجلًا حبشيًا اسمه جمال الدين ياقوت الذي كان أمير الإصطبل، ورفعت مكانته حتى أصبح أمير الأمراء، ومما زاد الأمر سوءًا أنها خرجت دون حجاب السيدات، فوضعت قبعة على رأسها. ولهذه الأسباب مجتمعة استاء منها كبار الأمراء، فرفعوا راية العصيان والتمرد والمعارضة[1].

فعلى سبيل المثال في سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م) تمرد عليها الملك عز الدين كنجان حاكم لاهور، فقامت السلطانة رضية بتجهيز الجيش وسارت بنفسها إلى لاهور، وهزمته، وانتهى الأمر بالصلح بينهما، وفي نفس العام تمرد اختيار الدين التونيا، وخرجت السلطانة لمواجهته، لكن بعض الأمراء خرجوا من جيشها وانضموا إليه، وقتلوا أمير الأمراء جمال الدين ياقوتًا، وقيدوها وسلموها إلى التونيا، واختاروا بدلاً منها معز الدين بهرام شاه بن ألتمش على السلطنة في دهلى. وفي الحقيقة أن تقريب السلطانة لياقوت لم يكن السبب الحقيقي لتمرد التونيا، ولكن السبب لثورته هو رغبته في الوصول إلى منصب؛ ودليل ذلك أنه أطلق سراح السلطانة رضية وتزوج منها، وسار بجيش إلى دهلى من أجل الوصول إلى السلطنة إلا أنه فشل في ذلك، حيث تلقى هزيمة على يد قوات السلطان الجديد معز الدين بهرام شاه، وهرب التونيا والسلطانة رضية، ووقعا في يد الهنود وقتلوهما وانتهت حياة السلطانة رضية سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤١م) بعد أن حكمت ثلاثة أعوام وستة أشهر وستة أيام[2].

---

(١) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٥٩؛ الحسيني: نزهة الخواطر، جـ١، ص٩٩.

(٢) نلاحظ أن تاريخ وفاتها مخالف لتاريخ انتهاء حكمها حيث عزلها رجال الدولة قبل موتها بفترة. منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٣٨ - ٦٣٩؛ أكبري: طبقات أكبري، ص١٣٥؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٢٤٤ - ٢٤٥.

وبهذا تكون السلطانة رضية بنت ألتمش قد تمكنت من إقرار الحكم الإسلامي من خلال القضاء على الثائرين ضد حكمها في الداخل وحافظت على ما وصلت إليه الدولة من اتساع في عهد والدها فاستعادت قلعة رانثمبهور، هذا بالرغم من قصر المدة التي حكمت فيها، وكثرة معارضيها، الذين نجحوا -في النهاية- في التغلب عليها.

- **خامساً: السلطان معز الدين بهرام شاه(٦٣٧_٦٣٩هـ/١٢٤٠_١٢٤٢م):**

وصل معز الدين إلى سدة الحكم بعد أن سجنت السلطانة رضية، فبايعه رجال الدولة في السابع والعشرين من شهر رمضان عام (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م)، ثم بايعه بقية الأمراء وسائر الناس في الخامس عشر من شوال من العام نفسه. وفي عهده استمر رجال الدولة يشاركونه في الحكم، وبدأت شكوكه فيهم، وقد وصلت شكوكه قمتها عندما كتب إليه الوزير قطب الدين -الذي كان على رأس حملة لصد هجوم المغول عام (٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م)، بتأخر المدد- ما نصه: "إن هؤلاء الأمراء والأتراك لن ينقادوا أبداً، والصواب هو أن يكون هناك مرسوم نافذ من الحضرة حتى أستطيع أنا وقطب الدين حسين أن نهلك جميع الأمراء والأتراك بأي طريقة...". وحين وصل ذلك إلى السلطان فكر على عجل وتهور ولم يتدبر، وأمر أن يكتبوا مرسوماً بذلك ويرسلوه. وصل خبر هذا المرسوم إلى الأمراء والأتراك فثاروا وعادوا إلى دهلى بالجيش، وبعد حصار ثلاثة أشهر قبضوا على السلطان معز الدين بهرام وقتلوه[1]. لم تذكر لنا المصادر التي تم الرجوع إليها جهودًا تذكر للسلطان معز الدين لفتح جديد، أو حتى استعادة ما سيطر عليه المغول.

---

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص ٦٣٩ - ٦٤٦.

- سادساً: السلطان علاء الدين مسعود بن ركن الدين فيروزشاه (٦٣٩ ـ ٦٤٤هـ/ ١٢٤٢ ـ ١٢٤٦م):

بعد مقتل السلطان بهرام شاه أخرج الملوك والأمراء ثلاثة من الأمراء من الحبس، وهم: السلطان ناصر الدين، والملك جلال الدين من أبناء السلطان ألتمش، وعلاء الدين مسعود حفيد ألتمش، واتفقوا على أن يتولى علاء الدين السلطنة وتمت له البيعة العامة[١].

- جهوده في الدفاع عن البلاد الإسلامية في الهند:

واجه السلطان علاء الدين مسعود خطر المغول، حيث جاءت أفواج الجيوش المغولية سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) فهاجموا لكهنوتي[٢] فقام السلطان علاء الدين مسعود بإرسال الملك قرابيك تيمور خان[٣] إلى لكهنوتي ومعه جيش جرار من أجل إمداد طغاخان[٤]، فهُزم جيش المغول وغادروا لكهنوتي[٥].

ثم عاد المغول سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) لمهاجمة مناطق إقليم السند من ناحية قندهار وطالقان، فحاصروا مدينة "أوجه" فقام السلطان علاء الدين بجمع أمرائه

---

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٤٦ – ٦٤٧؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٤٠؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦١.

(٢) لكنهوتي: تقع على الطريق للقادم من بلاد التبت. انظر بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦٢؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥١.

(٣) تيمور خان: أحد مماليك خواجه تاش، أمير حاجب في عهد علاء الدين، انظر بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦٢؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥١.

(٤) طغاخان عز الدين طغرل ملك لكهنوتي. انظر منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٤٨.

(٥) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٤٩؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦٢؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥١؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ص١٣١.

وقواده وتحرك بمنتهى السرعة إلى ناحية أوجه، وعندما سمع المغول بقدوم السلطان وقواته غادروا المدينة وفروا قبل وصول السلطان إليهم[1].

- نهاية حكمه:

بعد عودة السلطان من مواجهة المغول، تمكن جماعة من الأحباش وغير الأسوياء[2] من السلطان، وحرضوه على ارتكاب أمور سيئة، مثل: قتل الملوك والمصادرة للأموال والممتلكات، فتحول عن جميع محاسنه، وأسرف في اللهو والطرب والعشق والصيد، وأهمل مصالح دولته؛ ولهذا اتفق رجال الدولة وأرسلوا سراً مكتوباً لناصر الدين محمود بن ألتمش، وطلبوا حضوره وفعلاً قدم ناصر الدين إلى دهلي، وقبضوا على السلطان علاء الدين مسعود، وألقوه في السجن في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر محرم سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) وظل في محبسه حتى مات به، بعد أن حكم مدة أربع سنوات وشهر ويوم[3]. وبهذا انتهت فترة حكمه والتي عمل خلالها على إقرار الحكم في دهلي ونظم أمور دولته، وواجه خطر المغول الذي كان يهدد أطراف الهند في تلك الفترة، ثم تحول عن ذلك فأسرع بإنهاء حكمه.

- سابعاً: السلطان ناصر الدين محمود بن السلطان ألتمش (٦٤٤ - ٦٦٤هـ/ ١٢٤٦ - ١٢٦٦م):

ولد السلطان ناصر الدين محمود بعد وفاة أخيه الأكبر ناصر الدين ولهذا سُمي باسمه، وحرص والده على تربيته[4]، حتى قيل عنه: إنه كان "أنموذج الخلفاء

---

(١) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥١؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ص١٣١.

(٢) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٣٤.

(٣) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٥٠؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٤١؛ Zakaallah: The Mamluk, P.138.

(٤) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٢.

الراشدين، نادى برفع المظالم، وأظهر العدل والكرم، وكان ورعاً متعبداً ذا حلم وأناة ورأفة..."[1]. وكان على درجة عالية من العلم والفقه في الدين[2]، واشتغل بنسْخ القرآن الكريم ثم يبيع تلك النُّسخ، فيقتات بثمنها[3].

- **توليه الحكم:**

بعد تحول السلطان علاء الدين مسعود عن طريق الصواب، أرسل رجال الدولة إلى السلطان ناصر الدين محمود ليتولى الحكم في دهلي. وفعلاً لبى دعوة رجال الدولة وقدم إلى دهلي، وقبضوا على السلطان مسعود، وكان اختيارهم له بناء على ما عرف عنه من حسن السيرة وجهوده في محاربة الكفار وإعمار البلاد[4].

وبعد توليه الحكم عين غياث الدين بلبن[5]، نائباً عنه، وقال له: "لقد جعلتك نائباً عني، وسلمت إليك مقاليد أمور السلطنة، فإياك أن تفعل فعلاً تعجز عن الإجابة عنه عندما تقف بين يدي الله، فتُخجل به نفسك وتفضحها هناك"[6]. ومع هذا التفويض الذي منحه السلطان ناصر الدين محمود لنائبه إلا أنه لم يكن ليغفل عن متابعة أمور دولته، ويدل على ذلك معالجته لكثير من المؤامرات الداخلية ومواجهة

---

(١) النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١١١.

(٢) أكبري: طبقات أكبري، ص١٤١.

(٣) منهاج سراج، طبقات ناصري، جـ١، ص٦٥٠ – ٦٥١؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٤١.

(٤) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٥٠؛ فرشته: تاريخ فرشته جـ١ ص٢٥٤.

(٥) غياث الدين بلبن: كان مملوكاً للسلطان ألتمش وصهرًا له، ولقبه ألتمش بلقب الخان الأعظم (الغ خان). انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٣.

(٦) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٣.

أعدائه المغول، ومتابعة جهود نائبه كما سيظهر لنا خلال استعراض أبرز الأحداث في عهد السلطان.

- **جهود السلطان ناصر الدين محمود العسكرية:**

١-مواجهة المغول:

ما إن تولى السلطان ناصر الدين محمود الحكم حتى قاد جيشاً إلى السند، حيث وصلت الأخبار بأن المغول هاجموا إقليم السند، ولهذا زحف إليهم السلطان، ورافقه نائبه غياث الدين بلبن، وما إن سمعت القوات المغولية بقدوم السلطان على رأس الجيوش حتى انسحبوا من الهند، ومع ذلك أمر السلطان ناصر الدين نائبه بلبن بأن يتوجه إلى جبل الجود، وذلك لوجود متمردين من أهالي تلك المنطقة، الذين كانوا في العام السابق قد تعاونوا مع المغول وأرشدوهم إلى مداخل الولايات الهندية. وفعلاً حقق بلبن انتصاراً كبيراً على هؤلاء المتمردين، ثم جاء أمر السلطان بالعودة إلى دهلى لنقص المؤن والأعلاف في الجيش[١].

ولإقرار الحكم الإسلامي في تلك المناطق ولضمان الولاء فقد قام السلطان ناصر الدين وبمشورة من نائبه بعزل أمراء وملوك كبار في تلك المناطق، والذين كانوا على مناطق، مثل: لاهور وملتان منذ عهد السلطان قطب الدين أيبك والسلطان ألتمش، ولكن هؤلاء الأمراء لم يميلوا لمواجهة المغول، بل اتبعوا أسلوب المصالحة معهم وتلافي الصدام. ولهذا عزلهم السلطان وأخذهم معه إلى دهلى، وأحسن إليهم، وعين

---

(١) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٦٠؛ أكبري: طبقات أكبري، ص١٤٢؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٣ - ٢٥٤.

من أبنائهم وأقاربهم من صغار السن في نفس المناصب في تلك المناطق، وبهذا استتب الاستقرار والأمن في ولايات البنجاب وملتان[١].

لم يتوقف الغزو المغولي للهند ففي نهاية عام (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) وصلت القوات المغولية إلى الملتان وأجه، ولهذا توجه السلطان ناصر الدين محمود لصدهم، وبقي هناك مدة أربعة أشهر يجمع فيها الجيش الإسلامي ويشرف عليه بنفسه، ولكن جيوش المغول غادرت دون قتال[٢].

٢- **الفتوحات في عهده:**

- **فتح قلعة بلسندة[٣]:**

كان فتح هذه القلعة ما بين عامي (٦٤٤ - ٦٤٥هـ/ ١٢٤٦ - ١٢٤٧م)، حين سار السلطان على رأس القوات المملوكية إلى إقليم قنوج، وتحصن في هذه القلعة الكثير من الكفار، وبعد جهود كبيرة، تيسر فتح هذه القلعة[٤].

- **فتح كره:**

بعد فتح بلسنده أرسل السلطان نائبه غياث الدين بلبن إلى ولاية كره بالقرب من قنوج، وهناك أغار بلبن على المناطق التابعة للأميرين "دلكى وملكى"[٥]، وحقق انتصاراً بعد أن خاض عدة معارك، وغنم مغانم كثيرة[٦].

---

(١) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٣٥؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ص١٣٣؛ الضفيان: جهود المماليك، ص٥٠. Zakaullah: The Mamluk, p.p.141 - 144.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ، ص٦٧٥؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦٥ - ٦٦.

(٣) بلسندة: قلعة في إقليم قنوج، وقد وردت باسم قلسند، وفي نسخ أخرى من تاريخ فرشته باسم: (ملسنده) وفي بعض النص الإنجليزي "بتنده". انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٥، هامش١٥.

(٤) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٦١؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٣٥.

(٥) دلكى وملكى: أميران بالقرب من نهر آب جون، وقد اعترف بحكم الدولة المملوكية، واستولى على ما بين كالنجر وحتى مالوه، وخرج في عهد السلطان ناصر الدين محمود. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٥ - ٢٥٦.

(٦) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ص١٣٣.

- **استعادة رانثمبهور وميوات:**

خرج متمردون في رانثمبهور وسفوح جبل ميوات في سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) ولهذا عين السلطان ناصر الدين محمود نائبه بلبن على رأس جيش كبير، وقد نجح هذا القائد في مهمته فأخضع المتمردين في تلك المناطق، وغنم مغانم كثيرة[١].

- **محاولة استعادة الملتان:**

توجه السلطان ناصر الدين محمود إلى الملتان في سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، وانضم إليه كشلوخان عز الدين بلبن حاكم الملتان ومعه عشرون ألف فارس، وبعد عدة أيام من وصول السلطان إلى الملتان، أمر بأن يتولى الملك كشلوخان عز الدين بلبن باستعادة الملتان؛ وعاد السلطان إلى دهلى، ولم يتم استعادة الملتان[٢].

- **فتح كواليار "كاليور":**

توجه السلطان سنة (٩٤٦هـ/ ١٢٥١م) إلى إقليم كواليار، فسيطر على قلعة "نرور" والتي شيدها الراجا جاهر ديو – والذي يعتبر من أعظم الراجات في تلك البلاد – وقد واجه جاهر السلطان ناصر الدين محمودًا، وكان مع جاهر خمسة آلاف فارس ومائتا ألف من المشاة، ولكن السلطان أوقع به هزيمة مريرة فلاذ جاهر بالفرار؛ وحاصر السلطان القلعة واستولى عليها بعد أيام، ثم توجه السلطان إلى مدينة "تشندیري" ومالوه، وعَيَّن أمراء من ذوي القوة والخبرة على تلك المناطق، ثم غادر السلطان إلى العاصمة دهلى[٣].

---

(١) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٣٦؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦٤.

(٢) منهاج سراج: طبقات ناصري، جـ١، ص٦٦٥ – ٦٦٦؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٦.

(٣) بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦٤؛ للتعرف على المناطق الخاضعة لدولة المماليك انظر ملحق رقم(٣).

٣-إخضاع الثائرين:

سنة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م) أعلن عز الدين بلبن الصغير حاكم "ناكور" أوناجور عصيانه وتمرده، فتحرك السلطان لإخضاعه وإنهاء تمرده، ولهذا أسرع عز الدين بلبن وطلب الأمان، فعفا عنه السلطان، وأعاد إليه حكم الأقاليم التي كانت تحت حكمه[1].

تآمر عماد الدين ريحان -والذي كان يلي منصب وكيل البلاط السلطاني – مع بعض الملوك والأمراء، ضد نائب السلطان غياث الدين بلبن، فأرادوا قتله ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك، ودفعهم لذلك حسدهم مما وصل إليه من مكانة وما حقق من انتصارات، ولهذا سعوا به لدى السلطان، وقالوا بأن مصلحة الدولة تقتضي- أن يخرج غياث الدين بلبن من دهلي إلى إقطاعية "هانسي، ويظل مقيماً بها. فوافق السلطان على ذلك، وعين عماد الدين ريحان المقربين منه في المناصب الهامة، وأبعد كل من له علاقة بغياث الدين بلبن، ثم حرض عماد الدين السلطان على إرسال جيوش إلى السند، وانتزاعها من أيدي حكامها المسلمين، ولهذا اتفق أمراء هذه الأقاليم وأرسلوا إلى غياث الدين بلبن يطلبون منه أن يعود إلى دهلي؛ لاختلال نظام الدولة، وتمادى ريحان في "الظلم، فتحرك غياث الدين بلبن ومعه هؤلاء الأمراء إلى دهلى، ولكن ريحان حرض السلطان لمقاومتهم فأرسل بلبن رسالة إلى السلطان يذكر له ولاءهم، وأنه لولا وجود المخالفين لقدموا إليه وقدموا فروض الطاعة، فعزل السلطان ريحان،

---

(١) منهاج سراج،:طبقات ناصري، جـ١، ص٦٦٦.

ودخل الأمراء في طاعة السلطان وعاد غياث الدين بلبن إلى دهلى مرة أخرى وكان ذلك (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م)[١].

بعد عودة غياث الدين بلبن إلى دهلى، واجه مشاكل متعددة لإقرار الأمور في الدولة، فكانت البلاد تعاني الاضطراب، وهناك العديد من الثوار في أطراف جبال دهلى، منهم قبائل، "ميوات، وراجبون، وسوالك"؛ ولهذا عمل بلبن من أجل القضاء عليهم وبقي ثلاثة إلى أربعة أشهر في محاربتهم، وقاتلهم حتى عام (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) فحقق انتصاراً ساحقاً عليهم[٢].

- **نهاية حكمه:**

مرض السلطان ناصر الدين محمود في عام (٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م)، واشتد مرضه حتى توفي سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م) ودفن في دهلى، بعد أن حكم عشرين عاماً وبضعة أشهر[٣].

وكان يعمل خلال هذه الفترة على ثلاث جبهات وهي التمرد الداخلي، والخطر الخارجي، كما عمل على مد رقعة الدولة الإسلامية في الهند، وعمل على استعادة ما خرج عن سيطرة الدولة، سانده في ذلك نائبه غياث الدين بلبن.

---

(١) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) منهاج سراج، طبقات ناصري، جـ١، ص٦٧٧؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٦٧؛ الفقي: بلاد الهند، ص٦٥.

(٣) أكبري: طبقات أكبري، ص١٤٥.

ثامناً: السلطان غياث الدين بلبن وأحفاده (٦٦٤ _ ٦٨٩هـ/ ١٢٦٦ – ١٢٩٠م)

أ- السلطان غياث الدين بلبن:

هو أحد الأتراك، اشتراه أحد التجار من المغول، كان والده يقود قبيلة تركية كبيرة، وظل تجار الرقيق يبيعون ويشترون فيه حتى اشتراه جمال الدين البصري – وهو أحد تجار بغداد وعرف بالتقوى – فنقله سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) إلى دهلى حيث كان السلطان شمس الدين ألتمش، وكان بلبن من نفس قبيلة ألتمش – البري[١] – فقام التاجر بعرض بلبن ومعه عدد من المماليك الأتراك على السلطان ألتمش، وفي المقابل اشتراهم السلطان بأعلى الأثمان. ولاحظ ألتمش على بلبن مهارات الشجاعة والفتوة والمروءة، فجعله مشرفاً على القصور، وتعرف بلبن على أخيه "كشلوخان" الذي كان في خدمة السلطان[٢].

وفي عهد خلفاء ألتمش كان له دوره في الأحداث، ففي عهد السلطان ركن الدين فيروز شاه أعلن العصيان مع مجموعة من الأتراك. وفي عهد السلطانة رضية زُج به في السجن بعد أن انضم إلى المعارضين للسلطانة رضية، ثم خرج وتولى منصب أمير الصيد. وفي عهد السلطان بهرام شاه تولى منصب أمير الإصطبلات السلطانية. وولي إقطاعية هانسي، ثم برز في حروبه ضد قبيلة الموات، وفي عهد السلطان علاء الدين مسعود شاه صار أميراً للحجابة (أمير البلاط)، وفي عهد السلطان ناصر الدين محمود

---

(١) سبق التعريف بهذه القبيلة عند الحديث عن السلطان ألتمش.

(٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص.ص٢٦٥ – ٢٦٦؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١١٢؛ Zakaullah: The Mamluk, p.187.

صار نائب للسلطان له وزارة تفويضية، وقام بدور هام في إقرار أمور الدولة، حتى قيل: إنه "لم يبق للسلطان ناصر الدين من السلطة والحكم إلا الاسم"[1]، ويذكر بعض المؤرخين أن تاريخ ناصر الدين محمود هو -في حقيقته- حلقة من تاريخ بلبن، ولم يكن للسلطان ناصر الدين محمود أبناء ذكور، وتزوج بلبن من ابنه السلطان، الأمر الذي يسر له أمر توليه السلطنة بعد وفاة ناصر الدين، وكان نائباً له عشرين عاماً، وسلطان عشرين سنة أخرى، وبايعه الخاصة والعامة في دهلي[2].

ب- جهوده العسكرية لإقرار الحكم الإسلامي:

١- جماعة الأربعين:

بعد تولي بلبن السلطنة وجد أن عليه خطرًا من "الأربعينية"، وهم مماليك للسلطان شمس الدين ألتمش وعددهم أربعون مملوكاً تركياً، وكان لهم مكانة عالية، وبعد وفاة السلطان ألتمش اجتمع الأربعون وقاموا باقتسام بلاد الهند وممالكها فيما بينهم، وقد اشتهروا "بأتراك الخواجة تاش"، أي: المتزاملين في سيد واحد أو الرفقاء، ولكنهم بعد ذلك تركوا الاتفاق وكل عمل لنفسه، وحين تولى بلبن السلطنة كان أول ما عمله هو أن أطاح بفريق من الأتراك "الخواجة تاش" فقد كان يتخوف منهم[3]، حتى قيل: إنه دس السم لابن عمه "شيرخان"؛ وبذلك ارتاح السلطان من تلاعبهم بالملك وأمن خطرهم.

---

(١) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٦٦.

(٢) ابن بطوطة: رحلته ، جـ٢، ص٤٣؛ الفقي: بلاد الهند، ص.ص٦٥ - ٦٦؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١١٢؛ Zakaullah: The Mamluk, p.181.

(٣) باريي، ضياء الدين (ت/ ٧٥٨هـ): تاريخ فيروز شاهي، الهند، (د.ط.ت)، ص٦٩؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٦٦؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١١٢.

٢- تأديب بعض الأمراء والملوك:

لضبط أمور الدولة فقد عمل السلطان غياث الدين بلبن على تأديب بعض الأمراء والملوك بسبب المظالم التي ارتكبوها في حق الرعايا، وقد حَوَّل واحدًا أو اثنين منهم إلى القضاء حتى يقتصوا، منهما. وهما: نعيق سرجاندار صاحب إقطاعية بداؤن، وكان قد قتل أحد السعاة، فعرضت زوجة الساعي مظلمتها على السلطان، فأمر أن تقتص منه. وطبق ذلك على أحد الملوك يدعى "هيبت خان" صاحب إقطاعية أوده، وقد قتل أحد العامة، فشكته زوجة القتيل، فجلده السلطان خمسمائة سوط، ووهبه لتلك المرأة، وقال لها: إنه كان مملوكي إلى هذا اليوم أما الآن فهو لك، فإن شئت فاقتليه، وإن شئت فاعفي عنه، فتوسل هيبت إليها، وتوسط له مجموعة من الناس، حتى دفع لها الدية[1]، واستقر في بيته حتى مماته خجلاً مما قام به. وبتطبيقه العدل وإنصافه للمظلومين أدب هؤلاء الأمراء، وكانوا عبرة وعظة لغيرهم ممن تسول له نفسه البغي والظلم.

٣- القضاء على قطاع الطرق:

اهتم السلطان بلبن بإقرار الأمن الداخلي قبل التوجه إلى الفتوحات، فضرب بيد من حديد على أهل مواتي، وكان قد أخضعهم أثناء وزارته أيام ناصر الدين محمود، فلما تولى السلطنة، قطعوا الطرق، وسرقوا المسافرين، وألحقوا بهم الضرر، وخصوصاً في بهار فنهبوا القرى، وقتلوا الناس، حتى اقترب خطرهم من العاصمة دهلى، فسار السلطان على رأس جيش لإخضاعهم، وهاجمهم، وتتبعهم حتى شتت شملهم،

---

(١) بدواني، منتخب التواريخ، جـ١، ص٨٨؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٦٩.

ولاحقهم في الغابات والأدغال التي كانوا يحتمون بها، وما زال حتى استأصلهم. وزيادة في إقرار الأمن أقام الحصون في أرجاء البلاد، وجعل فيها شرطة لحماية الناس من عدوان اللصوص وقطاع الطرق، وحول المنطقة إلى مناطق زراعية، وبذلك استتب الأمن في الدولة[1].

كذلك تعرضت سلطنة دهلى لخطر آخر من جانب الهندوس ذلك أنهم قطعوا الطريق بين دهلى والبنغال، فقاومهم حتى ضعفوا ووهنوا، وقبض عليهم وأسر منهم جماعة[2].

٤-ثورة طغرل:

هو أحد مماليك السلطان بلبن سن الأتراك، وكان يتولى حكم ولاية لكهنوتي، وكان يتسم بالسخاء والشجاعة، وحقق انتصارًا على الراجامهراج الحاكم الهندوسي في ولاية جاج نكر – شرق البنقال- وكان السلطان بلبن قد كبر في السن وأصابه المرض، فلم يرسل طغرل حصة الدولة من غنائمه من حربه ضد مهراج، وذلك سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، وعندما انتشرت الشائعات بموت السلطان، خلع طغرل الطاعة، ولقب نفسه "مغيث الدين" وأمر أن يُخطب باسمه.

بعد ذلك شفي السلطان بلبن من مرضه، إلا أن طغرل لم يتراجع عن أفعاله السابقة، وأصر على المخالفة والعصيان، ولهذا أمر السلطان بلبن بتسيير الجيوش

---

(١) بارني: تاريخ فيروزشاهي، ص١١٩؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٤٠؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٨٩؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٧٤.

(٢) الفقي: بلاد الهند، ص٦٧.

لمواجهته، وقد هزمت قوات الدولة المملوكية أمام طغرل مرتين، لهذا خرج السلطان بنفسه على رأس جيش لمواجهة طغرل، وما أن سمع طغرل بقدوم السلطان حتى اختفى ولكن السلطان أصر ألا يعود حتى يقضي على المتمردين، وتحقق له ذلك، حيث باغتوهم في جاجنكر، وكانوا في غفلة، وأفنوهم وقُتل طغرل، ورتب السلطان أمور البنقال، وعهد إلى ابنه "بغراخان" بحكم البنقال، وقد استمر بغراخان وأعقابه في البنقال أكثر من نصف قرن[١].

٥-مواجهة المغول:

كان شيرخان ابن عم السلطان غياث الدين بلبن منذ عهد السلطان ناصر الدين محمود يتولى حكم لاهور وملتان، وبقية الإقطاعات المتاخمة لمواضع تسلل جيوش المغول، وكان المغول لا يستطيعون أن يحوموا حول بلاد الهند، ولكنهم عادوا سيرتهم مرة ثانية، بعد وفاة شيرخان، وأخذوا في التعدي على المناطق الحدودية وسلبوا ونهبوا.

ولهذا عين السلطان بلبن ابنه الأكبر محمدًا ولياً لعهده، وولاه حكم الولايات التي كانت في يد شيرخان، وأرسله إلى ملتان ومعه جمع من الأمراء وأهل الخبرة والعلم وذلك عام (٦٦٧هـ/ ١٢٧٠م). وقرر السلطان على ابنه بغراخان أنه في حالة هجوم المغول، فإن عليه مساندة أخيه محمد، وكان السلطان بلبن قد أعاد عمارة قلاع وحصون في تلك الحدود[٢].

---

(١) باري: تاريخ فيروز شاهي، ص١٥٠؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص٨٩؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٨٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ص١٣٩؛ العبادي: دولة سلاطين المماليك في الهند، ص١٢٦.

(٢) باري: تاريخ فيروزشاهي، ص١٢٣؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ص١٤٢.

وقد تمكن محمد بن السلطان بلبن من تحقيق انتصار على جيش المغول وقتل الكثير منهم على حدود بلاد الهند، وهذا دفع القائد المغولي "تيمور خان" بتكرار الإغارة والسلب بغرض الانتقام لبعض أقاربه ورجاله، الذين لقوا حتفهم في القتال مع محمد بن بلبن في السنوات السابقة.

قام تيمور خان سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) ومعه عشرون ألفًا من جنود المغول، بالإغارة على المنطقة الواقعة بين لاهور وديبالبور، ثم توجه إلى الملتان، فخرج محمد بن بلبن لمواجهتهم، وحدثت المعركة عند نهر لاهور، وانتصر محمد بن السلطان، وقتل عدد من قادة المغول، وانهزم تيمور ولاذ بالفرار؛ إلا أن فرقة من جيش المغول كانت ترصد تحركات الجيش الإسلامي، وفي وقت الانشغال هاجموا القوات الإسلامية، وحقق المغول الانتصار وقُتل محمد ابن السلطان بلبن في هذه المعركة ولقب بالشهيد[1].

٦-الفتوحات في عهد السلطان بلبن:

حقق القائد طغرل – السابق ذكره – في سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) انتصارًا على الأمير الهندوسي مهراجا حاكم ولاية (جاج نكر) – في البنغال، وغنم مغانم كثيرة[2].

وهذا لا يعد إنجازًا كبيرًا لسلطان مثل السلطان غياث الدين بلبن والذي طالت فترة حكمه، وكان له فتوحات وجهود عظيمة أيام وزارته للسلطان ناصر الدين

---

(١) بارني: تاريخ فيروزشاهي، ص١٢٣؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٧٧، ٢٨٧، ٢٨٩؛ النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص١١٢ - ١١٣.

(٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٨١.

محمود. ولكن ربما يعود ذلك إلى أن السلطان اهتم بإقرار الأمن الداخلي قبل أن يتوجه لفتوح جديدة.

كما أن السلطان واجه خطر المغول فقال "... ولو لم يمنعني خطر هجومهم على مملكتي، لحاربت كل الحصون الهندية، ولا تستطيع قوة أن تقف أمام قوات دهلى"[(١)].

يضاف لذلك شخصية السلطان بلبن، فهو من الأشخاص الذين لا يتركون وراءهم خلفاء أقوياء، فقد قضى على المماليك الأربعين، وقلص نفوذ الأمراء والملوك، ودليل ذلك أنه بعد استشهاد ابنه محمد لم يجد شخصاً يثق به، ويكفيه حماية حدود الدولة، فلم يكن ابنه بغرخان بنفس كفاءة ابنه الشهيد محمد. ولهذا لم تمدنا المصادر التاريخية بفتوحات تليق بشخصية السلطان غياث الدين بلبن.

ج- نهاية السلطان بلبن:

حزن السلطان بلبن لموت ابنه محمد الشهيد، فقد كان ولياً للعهد، وكان السلطان بلبن يعمل على إعداده لتولي الحكم بعده، ولهذا استدعى ابنه بغراخان بعد أن اشتد المرض عليه ولكن بغراخان غادر دهلى بعد شهرين، ولهذا زاد حزن السلطان، واستشار كبار رجال الدولة في تعيين حفيده، كيخسرو بن محمد الشهيد ولياً للعهد، وبعد ذلك بفترة قصيرة توفي السلطان بلبن سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) بعد أن حكم عشرين سنة[(٢)]. وعمل على إقرار الأوضاع الداخلية، وحصن الثغور وأوقع الهزائم بالمغول.

---

(١) باربي: تاريخ فيروزشاهي، ص١١٢.

(٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٩٨.

ب- أحفاد بلبن (٦٨٤ - ٦٨٩هـ/ ١٢٨٥ - ١٢٩٠م):

- **معز الدين كيقباد وابنه كيكاؤس:**

في هذه الفترة الزمنية وصل إلى سدة الحكم شخصيات غير مؤهلة لتولي الحكم، فكانوا صغار السن؛ إضافة لذلك انغمسوا في الملذات، واستبد كبار رجال الدولة بالأمور دون السلطان، وبالتالي زينوا لهم الاستمتاع بملذات الحياة واللهو. ولهذا يمكن أن نسمي هذه الفترة مرحلة الضعف والسقوط.

١- الأحوال في عهد كيقباد:

بعد وفاة السلطان غياث الدين بلبن، كان من المقرر أن يكون السلطان كيخسرو بن محمد ابن السلطان بلبن، ولكن قام فخر الدين كوتوال والذي كان يتولى منصب ملك الأمراء – ولم تكن سريرته صافية تجاه محمد بن السلطان بلبن وولده كيخسرو – بالاتفاق مع أهل الحل والعقد، وقال لهم: "إن كيخسرو في طبعه حدة كبيرة، وإذا تيسر له الجلوس على عرش السلطنة، فقلما يترك أحدًا على قيد الحياة. وإن مصلحة المملكة تقتضي أن نقوم بإجلاس كيقباد... لأنه غلام حليم، وقد نشأ وترعرع ملازماً للسلطان بلبن، فيأمن الناس على أرواحهم وأموالهم". فوافق كل المجتمعين، ثم توج كيقباد بن بغراخان، وعُين كيخسرو على الملتان كما هو في عهد جده بلبن[1].

تولى كيقباد وكان في الثامنة عشرة من عمره، وتربى في حجر جده غياث الدين بلبن، وأدبه وأوكله إلى معلمين صالحين، ولم يكن يحوم حول الملذات والشهوات،

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٤٣؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١٠٩؛ فرفشته: تاريخ فرفشته: جـ١، ص٢٩٩؛ الفقي: بلاد الهند، ص٧٠.

وحينما ارتقى عرش السلطنة، صار مطلق العنان، ووافق ذلك عنفوان الشباب وطيشه، فانحرف إلى الهوى والشهوات، وغفل عن أمور الحكم، وإدارة شئون دولته؛ ولهذا برزت شخصية نظام الدين[1] الذي تقرب إلى السلطان إلى أن أسند إليه تصريف جميع أمور السلطنة. ونتيجة لشدة تجاوز كيقباد في الملذات فقد زاد طموح نظام الدين فحلم بالجلوس على العرش؛ وعندما سمع بغراخان ابن السلطان بلبن ووالد السلطان كيقباد – حاكم البنغال – بما وصل إليه حال ابنه، ساءه ذلك، وعقد العزم على تخليص ابنه من تسلط وزيره نظام الدين، فأعلن بغراخان استقلاله بالبنغال، ولقب نفسه بالسلطان ناصر الدين، وأمر بذكر اسمه في الخطبة، ونقش اسمه على العملة، وأرسل إلى ابنه العديد من الرسائل لنصحه. ولهذا سار بغراخان إلى دهلي، واستعد ابنه كيقباد لمواجهته، ولكن انتهى هذا اللقاء بدون حرب، واعترف السلطان بغراخان الأب بتعيين ابنه على الحكم، ثم قدم له النصح والحذر من نائبه نظام الدين. وبعد ذلك أراد السلطان كيقباد تطبيق نصائح والده، ولكنه تعود على الترف واللهو ولم يتمكن من تطبيق شيء من نصائح والده لشدة انغماسه في الملذات[2].

---

(١) نظام الدين صهر الملك فخر الدين كوتوال، وابن أخيه، وقد تولى في البداية وكيلاً للبلاد. انظر فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٠١.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٤٣ – ٤٤؛ بارني: تاريخ فيروزشاهي، ص٢١٠ – ٢١٨؛ الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٥٣ – ٥٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين، ص١٤٤ – ١٤٥.

٢- القضاء على كيخسرو:

تولى كيخسرو على الملتان مكان والده في حياة جده السلطان بلبن، وعندما بلغه جلوس ابن عمه على عرش السلطنة، ووصله -أيضاً- خبر سيطرة نظام الدين على الأمور في دهلي، وعلم بنية نظام الدين في القضاء عليه؛ لأنه يمثل عقبة لا بد من التخلص منها.

بدأ كيخسرو يرتب أموره فأرسل يخطب ود تيمور خان المغولي لعله يسانده؛ ولكن لم يجد ترحيبًا من تيمور خان الذي كان في غزنة. ولهذا توجه كيخسرو توجهاً آخر فأرسل إلى ابن عمه السلطان كيقباد، يذكر له أنه يدين بالسمع والطاعة للسلطان، وأنه يعلم بمكانته لدى ابن عمه الذي يكن له الود والحب، وذكر له أن هناك من يريد زرع الأحقاد بينهما، وطلب تفويضه عن ولاية الملتان، باعتبار أنه واحد من أنصار السلطان، رحب به السلطان وطلب منه الحضور إلى دهلي، وطمأنه إلى أنه ليس لدى السلطان أغلى من ابن عمه كيخسرو، فقدم كيخسرو إلى دهلي[١].

عند ذلك بدأ نظام الدين خطته الخبيثة لاستئصال العائلة الحاكمة، وبالتالي وصوله إلى السلطنة، فاتبع المكر، فنبه السلطان كيقباد إلى أن كيخسرو شريك له في الملك، وكيخسرو يتحلى بأوصاف السلطنة وولاية العهد، كما ذكر له أن هناك من يراسل كيخسرو من رجال الدولة سراً وعلناً، وأنهم يريدون القضاء على كيقباد، ولهذا أمر السلطان بقتل كيخسرو، وباشر نظام الدين ذلك فأرسل فريقًا، فقتلوا كيخسرو ومن معه. وبهذا خسرت الهند شخصية كانت جديرة بتولي السلطنة[٢].

---

(١) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٠٢.

٣-رد خطر المغول:

عاد خطر المغول في عهد كيقباد سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) فوصلت الأخبار بوصول جيوش المغول إلى حدود ولاية لاهور، فكلف السلطان كلاً من: الملك "باربك بيك برلاس، والخان "جهان" والذي كان معهم ثلاثون ألف فارس بصد ذلك الهجوم، وفعلاً التقى الطرفان، وكان النصر حليف القوات الإسلامية، وقتل فيها غالبية جنود المغول، ووقع بعضهم في الأسر وحملوا إلى دهلي[١].

- وفاة معز الدين كيقباد:

يظهر لنا مما سبق ذكره تدهور الأوضاع في عهد السلطان كيقباد، نتيجة لضعفه وسوء مسلكه في اللهو والفسق، فانقسم المماليك إلى معسكرات، وكان الخلاف قائماً بينهم. يضاف لذلك مرض السلطان مرضًا عجز الأطباء عن علاجه، فقام نائبه جلال الدين فيروز الخلجي[٢]، باختيار الأمير كيكاؤس بن السلطان معز الدين كيقباد، وأجلسه على عرش السلطنة. وكان السلطان كيقباد قد أنهكه المرض حتى أطلق عليه المشلول، وأودع السجن حتى هلك من الجوع والعطش بعد أن حكم ثلاث سنوات وبضعة أشهر[٣].

لم يطل عمر دولة المماليك بعد ذلك فبعد ثلاثة أشهر وبضعة أيام، حبس جلال الدين الخلجي السلطان شمس الدين كيكاؤس، وجلس هو على عرش السلطنة،

---

(١) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٥٤؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٠٣.

(٢) جلال الدين فيروز الخلجي، كان ملقبٌ بلقب "شايسته خان" وقد عينه السلطان كيقباد نائباً له في آخر حياته. انظر ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ٢، ص٤٥ – ٤٦؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١١٤.

(٣) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٥٩.

وبقي كيكاؤس في محبسه حتى مات فيه[1]. ولم تذكر لنا المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها قيام خلفاء بلبن بأعمال عسكرية تُذكر من فتح جديد أو استعادة ما فتحه سلاطين الدولة قبلهم، وبذلك انتهت دولة المماليك في الهند، بعد أن خلدوا ذكرهم بالفتوحات، والجهاد ضد المغول، وإقرار الأحوال داخل مملكتهم، كما كان لهم اهتمام بالعمران الحربي والمدني بما لا يتسع له المجال.

(١) الدهلوي: تاريخ مبارك شاهي، جـ١، ص٦١؛ بدواني: منتخب التواريخ، جـ١، ص١١٤؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٣١٥.

الخاتمة

ركز هذا البحث على دراسة الجهود العسكرية للسلاطين المماليك في الهند في الفترة من (٦٠٢ – ٦٨٩هـ/ ١٢٠٦ – ١٢٩٠م) ومن ثم أمكن رصد عدد من النتائج والحقائق التاريخية:

- تبين لنا جهود مؤسس الدولة قطب الدين أيبك والتي كانت سابقة لتوليه السلطنة حيث كان يدين بالولاء للدولة الغورية، حيث يعد تعيينه والياً على الهند من قبل الغور هو بداية الحكم الحقيقي للمسلمين في شبه القارة الهندية. وتمكن خلال ولايته التي استمرت أربعة عشر عاماً من أن يمد النفوذ الإسلامي إلى مناطق جديدة في الهند؛ ولهذا كانت إنجازاته في مجال الفتوح سابقة لتوليه الحكم.

- ومن خلال دراسة سير سلاطين المماليك في هذه الفترة، فقد كان من أبرز الشخصيات في النشاط العسكري بعد أيبك، السلطان شمس الدين ألتمش، وناصر الدين محمود، وكان هناك نشاط يسير للسلطانة رضية، كما لم يتمكن السلطان بلبن بالرغم من قوة شخصيته من القيام بفتوح جديدة لانشغاله بأمور أخرى، بينما نجد من السلاطين من ليس له دور في الفتوح.

- ركزت جهود المماليك العسكرية في فترة البحث على الفتح أولاً، ثم القضاء على الثوار، وقطاع الطرق، وتأمين الحدود ضد الخطر الخارجي والذي تمثل في تسيير الجيوش لمواجهة المغول، والعمل على تحصين الثغور.

- كما تبين لنا أن تدهور الأحوال الداخلية في أثناء بعض فترات البحث كانت سبباً في انعدام تحقيق فتوحات جديدة، بل إنها كانت سبباً في خروج بعض المناطق التي سبق أن تم فتحها.

- من خلال دراسة سيرة السلطان بلبن فقد ظهر لنا أنه كان ولمدة أربعين عاماً هو المسيطر على الحكم في بلاد الهند، وقد ركز جهوده العسكرية على حفظ الأمن والنظام داخل دولته مقدماً ذلك على الفتوحات.

- كما تبين لنا تولي سلاطين ضعاف ليسوا على قدر من الحنكة السياسية، فلم يذكر لهم التاريخ جهودًا عسكرية خلال توليهم الحكم علاوة على ذلك فقد تم تولية سلاطين صغار في السن كانوا ألعوبة في أيدي كبار رجال الدولة، وبالتالي أثر ذلك في جهود من سبقهم فخرجت أقاليم سُفك من أجلها الدماء، وكانوا سبباً في نهاية حكم دولة المماليك في الهند.

كانت هذه أهم النتائج التي أمكن استخلاصها من البحث، آمل أن أكون وفقت في إعطاء فكرة واضحة عن جهود المماليك العسكرية في بلاد الهند.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الفارسية:

- **أكبري، نظام الدين محمد مقيم، (ت/١٠٠٣هـ):**
  - طبقات أكبري، الجمعية الملكية البنغالية، ١٩٢٧م.
- **بارني، ضياء الدين (ت/٧٥٨هـ):**
  - تاريخ فيروز شاهي، الهند، (د.ط.ت).
- **بدواني، عبد القادر بن ملوكشاه (ت/٩٤٧هـ):**
  - منتخب التواريخ، تحقيق توفيق هاشم بورسبحاني، طهران، مؤسسة أنجمن آثار ومفاخر فرهنكي، (١٣٨٠هـ.ش).
- **الدهلوي، يحيى بن أحمد السيهرندي (ت/٨٣٨هـ):**
  - تاريخ مبارك شاهي، تصحيح محمد هدايت، كتابخانة ديجتالي نور.
- **فرشته، محمد قاسم بن غلام (ت/١٠١٥هـ):**
  - تاريخ فرشتة أز آغاز تابابر، طهران، مؤسسة انجمن أثار ومفاخر فرهنكي، نسخة إلكترونية PDF، محملة من مكتبة كتبخانة ديجتال نور.

<u>**ثانيا: المصادر العربية والمعربة**</u>

- **ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت/٦٣٠هـ):**
  - الكامل في التاريخ، تحقيق عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي ط١، (١٩٩٧م)، وثمة طبعة أخرى لدار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م. مراجعة وتصحيح: د. محمد يوسف الدقاق.

- **ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي (ت/٧٧٩هـ):**
  - رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به: درويش الجويدي. بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠١٤م.
- **الحسني، عبد الحق فخر الدين (ت/١٣٤١هـ):**
  - الإعلام في تاريخ الهند من أعلام المسمى نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، بيروت، دار ابن حزم، ط١ (١٩٩٩م).
- **الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت/ ٦٢٦هـ):**
  - معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ (١٩٩٠م).
- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت/٩١١هـ):**
  - تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط١ (١٩٥٢م)
- **العمري، أحمد بن يحيى (ت/[illegible]٤٩هـ)**
  - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي، القاهرة، دار الكتب العربية، (د.ط)، ١٩٢٤م.
- **ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت/٧٧٤هـ):**
  - البداية والنهاية، وثقه: علي محمد معوض، وعاطف أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ (١٩٩٤م).
- **منهاج سراج، منهاج الدين عثمان الجوزجاني (ت/٦٦١هـ):**
  - طبقات ناصري، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١ (٢٠١٣م).

- **النسوي، محمد بن أحمد (ألف كتابه ٦٣٩هـ):**
  - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ حمدي، القاهرة، (١٩٥٣م).

ثالثًا: المراجع العربية

- **إقبال، عباس:**
  - تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية القلجارية، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، القاهرة، دار الثقافة (د.ط) ١٩٩٠م.
- **حقي، إحسان:**
  - تاريخ الجزيرة الهندية الباكستانية، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ.
- **الساداتي، أحمد محمود:**
  - تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٥٧،
- **الصياد، فؤاد عبد المعطي:**
  - المغول في التاريخ من جنكيز خان إلى هولاكو خان، القاهرة، المكتبة التاريخية (د.ط)، (١٩٦٠م).
- **الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف:**
  - بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم ٩٢ - ١٣٦٦هـ/ ٧١١ - ١٩٤٧م، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، (٢٠٠٥م).
- **فواز، زينب:**
  - الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، شبكة المشكاة الإسلامية.

- **كحالة، عمر رضا:**
  - أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، ١٩٥٩م.
- **محمود، حسن أحمد:**
  - الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ط)، ٢٠٠٦م.
- **مؤنس، حسين:**
  - أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط١ (١٤٠٧هـ).
- **النمر، عبد المنعم:**
  - تاريخ الإسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، ط١ (١٩٥٩م).

رابعا: الرسائل والأبحاث العلمية

- **الضفيان، عيسى بن عبد الله:**
  - جهود المماليك في نشر الإسلام في الهند (٦٠٢ – ٦٨٩هـ)، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، ١٤١٥هـ.
- **مرزوق، أحمد إبراهيم علي:**
  - إقليم الهند الإسلامي منذ الفتح الغزنوي حتى نهاية دولة مماليك الهند (٣٦٦ – ٦٨٦هـ/ ٩٧٦ – ١٢٨٧م)، بحث ماجستير، جامعة المنيا، كلية دار

العلوم، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

-Zakaullah, Mahamooda: The Mamluk Dynasty of India, University of Al-Exandria, Faculty of Arts, Department of History.

خامسًا: الدوريات والمجلات

• **السورتي، عبد الله بن إسماعيل:**

- أضواء على تاريخ الحركة العلمية والمعاهد الإسلامية والعربية في غجرات بالهند، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية، العدد السابع والثمانون، محرم ١٤٠٩هـ.

• **العبادي، مختار:**

- دولة سلاطين المماليك والأتراك في الهند وأوجه الشبه بينها وبين دولة المماليك الأولى في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر (١٩٦٤م - ١٩٦٥م).

• **النووي، محمد إسماعيل:**

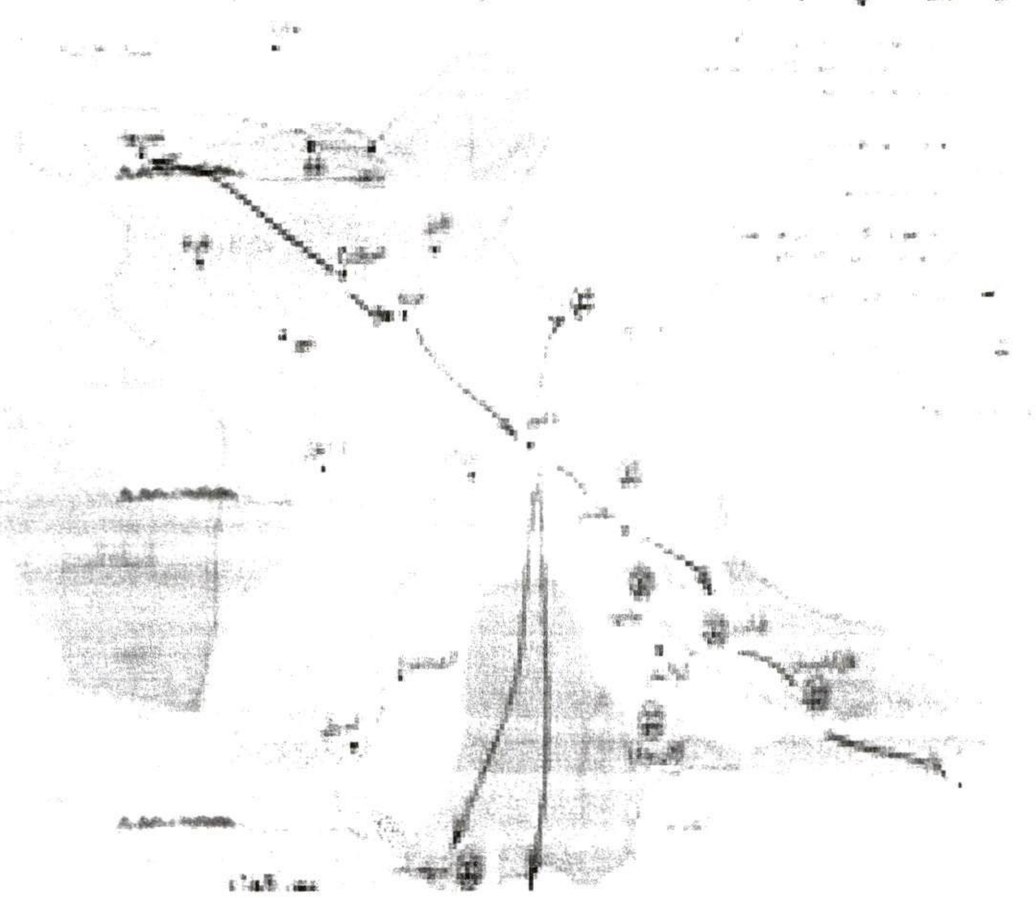
- تاريخ الإسلام في الهند، مجلة الكتاب العربي، العدد الثامن، ١٣٨٤هـ.

سادسًا: المراجع الأجنبية

-Aziz, Mohammed Ahmad: Ploitical History of Institutions of the Early Turkish Empire of Delhi, Oriental Book Reprint Ednoprotion Newdel.

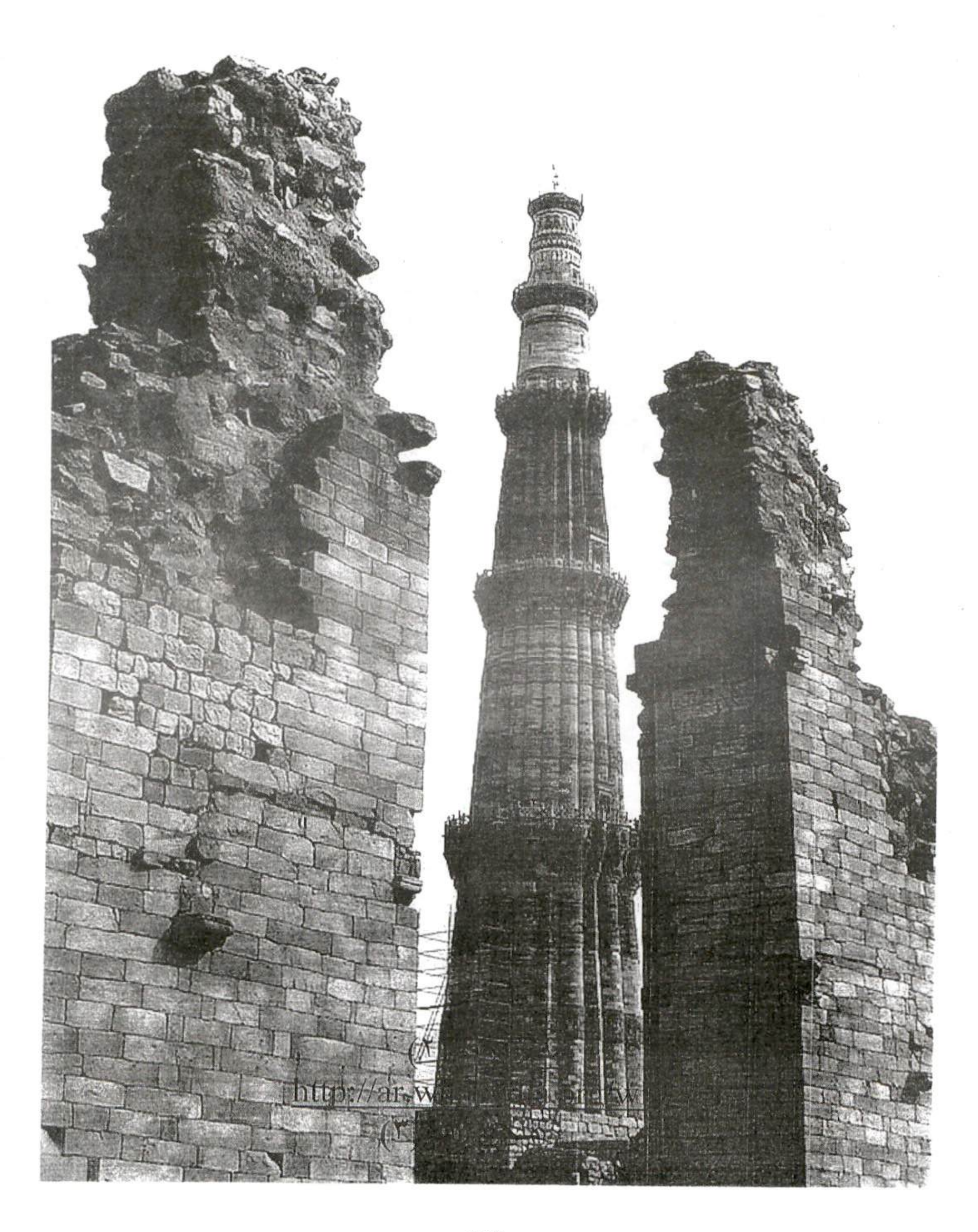
دولة آل غوري

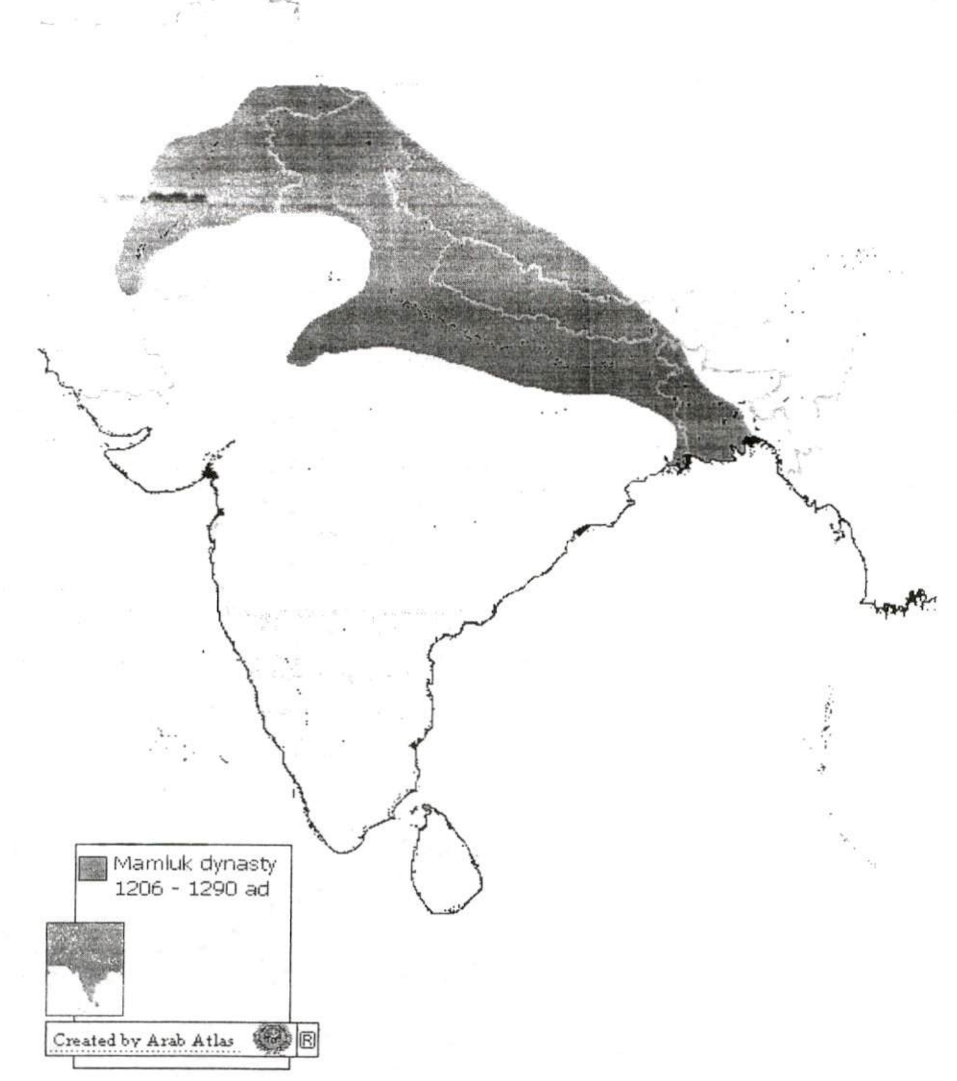
في القرن الثاني عشر للميلاد



ملحق رقم (١)

http://islamstory.com/ar





http://www.marefa.org/images/4/43/Mamluk_dynasty_1206_-_1290_ad.GIF